العدد ٧ السنة الأولى رمضان ١٤٠٣هـ يونيو ١٩٨٣م



الطليعة الإسلامية

[illegible] كل المسلمين

• هذه الحرب وتلك الحرب

• تودة : وابعاد الانهيار الكبير

• اى دور للإسلام في ظهور عالم جديد

• الفتنة اشد من القتل : التبشير والاستعمار - مثال التعليم

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

هذه الحرب وتلك الحرب

في الصيف الماضي . وقبل عام من الآن ، كانت قوات العدو الصهيوني تندفع الى قلب لبنان وتحاصر بيروت الدم والصمود... بعد أسابيع فقط من نجاح القوات الاسلامية في ايران —جيشاً وحرساً وتعبئة— في معركتها الكبرى لتحرير «خونين شهر» وتوقع بقوات صدام ضربات قاسية أودت بالآلاف منه الى معسكرات الأسر فيما فلوله تبتعد خارج الحدود . وكان مقدراً ، حتى من عامة المسلمين الذين هزتهم انتصارات الاسلام ، أن يبصروا قوات الاسلام وهي تندفع محررة العراق ومسقطة سلطة الأرهاب والأجرام في بغداد لترفع راية الأسلام في ثاني عاصمة اسلامية في هذا القرن . ولكن الذي حدث . ان قادة الحرس والجيش في ايران أغرتهم الفرصة السانحة في لبنان ليدفعوا بقواتهم الى مواجهة العدو الصهيوني الذي كانوا يعتقدون أنه الهدف النهائي لهم وللاسلام في المنطقة ، ولم يدركوا اي شرك قد نصب لهم في تلك الهجمة الشرسة متعددة الأهداف التي قام بها الغرب واليهود في الصيف الماضي .

وهكذا ، فقد اوقفوا اندفاع القوات الاسلامية في الجبهة مع العراق ووضعوا كل ثقلهم باتجاه لبنان متصورين أن بالامكان أن تصبح لبنان قاعدة متقدمة للاسلام في مواجهة العدو الصهيوني . ومرت أسابيع عديدة من المحاولة ليدركوا بعدها ، أن حرب الصيف الثاني والثمانين كانت حرباً في داخل المعادلة وأن حافظ الأسد لم يكن فقط مستعداً لوضع كل العراقيل أمامهم .. وأمام كل المتطوعين المسلمين — بل وأن يستخدم حلف الأطلنطي ليوقف طيرانهم عبر الأجواء التركية ، وليدركوا أيضا أن قاعدة الاسلام في مواجهة العدو الصهيوني هي قاعدة على الأرض وليست في فضاء الامنيات ، فالأرض المحررة هي الأرض التي يمكن أن تضع قواتك وإلا فستبقى تحت رحمة المعادلة الشيطانية ، معادلة القوى الكبرى .

وما أن اصبح ذلك واضحا حتى كان صدام قد أعاد ترتيب قواته ، التي اتخمت بكل معدات الغرب العسكرية الحديثة وخبراته ايضا ونجح في بناء واحد من أشرس الخطوط الدفاعية في تاريخ الحرب الحديثة ، في نفس الوقت الذي استمر فيه في ممارسة اعنف واقذر درجات الأرهاب داخل العراق حارقاً قرى باكملها وذابحاً عائلات بأطفالها ليخرس أي أحتمال لحركة الجماهير المسلمة في داخل العراق .

واليوم . ونحن نسجل هذه الافتتاحية ، تزداد ساعة بعد ساعة ، حرارة الموقف في لبنان وتتجه الانظار جميعها الى احتمالات الحرب المتصاعدة بعد توقيع الاتفاق اللبناني — الصهيوني ... فيما تتواصل اللعبة الدولية داخل المقاومة الفلسطينية ضاربة بحائط السلام الاميركي الوهمي . خطوط التوازن المعقدة داخل حركة «فتح» كبرى المنظمات الفلسطينية .

وقد كنا نتساءل في «الطليعة الاسلامية» عن طريق تناول «الحدث» في هذه الافتتاحية : إلى أين ينبغي أن نوجه الانظار؟ نحو أي دائرة على الضوء الاسلامي أن يتوجه؟

في هذه المرحلة .. في قلب الوطن الاسلامي هناك «حربان» : حرب طرفها الغرب — اليهود من جهة والأمة الاسلامية بكل قواها من جهة أخرى . غير أن القوى الاسلامية الحقيقية حتى الآن لم تمسك بطرف الصراع بشكل مباشر وذلك لأسباب عدة . والحرب الثانية طرفها الجمهورية الاسلامية والشعب المسلم في ايران من جهة ونظام صدام مدعوما بأمثاله وبقوى الغرب الشيوعي والرأسمالي من جهة أخرى . فما العلاقة بين هذه الحرب وتلك الحرب؟ او ، فلنذهب مباشرة الى المسألة : هل هو صواب فعلاً أن تتوقف حرب الاسلام في العراق من أجل ان تتحقق نتائج أفضل في الحرب ضد العدو الصهيوني؟

إن محاولات الوساطة العربية وغير العربية لم تتوقف خلال العام الأخير داعية ايران الى ايقاف الحرب والقبول بالسلام والتغاضي عن «خطأ !» صدام الذي أدى الى سقوط عشرات الآلاف من الشهداء وتدمير عشرات المدن والقرى وتشريد الملايين والبعض يقول أن لا نهاية لهذه الحرب وأنها لن تؤدي إلا الى المزيد من الخسائر . والبعض الآخر يتصور أن هذه الحرب أهم عامل في العوامل التي أدت الى هذا الوضع المزري أمام العدو الصهيوني الكافر . وفي داخل صفوف الحركة الاسلامية : أصحاب النية الحسنة يقولون : أن الأمر محكوم بارادة الدول الكبرى ولن يسقط صدام إلا ان كان هناك اتفاق دولي على ذلك .. وهذا لن يحدث . وأصحاب النية السيئة يتشنجون باحتمالات الخطر الشيعي أو الايراني .. لافرق . وحتى تكتمل الصورة لابد من الاشارة الى أصوات اسلامية في داخل ايران نفسها ، تقول : أن الحرب قد تكلفت اكثر مما يجب وأن ايران ليست مجبرة على الاستمرار فيما الشعب العراقي لا يتحرك ضد صدام وأن الأولى الالتفات الى عملية نهضة ايران الحضارية لتكتسب دولة الاسلام مناعتها الكاملة في مواجهة الأخطار .

إن الموقف الصواب : أن هذه الحرب لابد أن تستمر حتى ابواب القدس . إن المسألة الرئيسية أن الاسلام كله بتاريخه وتراثه وأمته وجمهوريته في ايران ، مستهدف الآن ، بل وهو المستهدف منذ قرون وما يحدث على أرض فلسطين وما حولها انما هو مظاهر للهجمة الطويلة الشاملة على الأسلام العزيز وقد أخذت هذا الطابع الدموي لان فلسطين كانت مركز الهجمة .

وحرب صدام المبكرة ضد الاسلام في ايران كانت وجهاً آخر لهذه الهجمة ، والآن حين بدأت الدائرة تدور على صدام ونظامه فكل من يدركون حقيقة الأمر من أعداء الاسلام يحاولون بكل الوسائل الحفاظ على نظام صدام بايقاف الحرب التي تتحرك نهايته .

في هذه المرحلة التي يحاول بها الغرب ضبط الامور لصالحه من جديد كانت هناك ثلاث قوى خارج معادلة الانضباط الغربي : تيار الحركة الاسلامية المتنامي منذ مطلع السبعينات في كل انحاء الوطن الاسلامي والجمهورية الاسلامية في ايران والمقاومة الفلسطينية كتيار جماهيري مسلح . وعقب حرب الصيف الماضي ، بل وقبلها بقليل ، كان العمل يجري حثيثاً لتوضع المقاومة الفلسطينية داخل المعادلة ، وها نحن نشاهد نتائج هذا العمل . والآن تبذل كل المحاولات لأن توقف ايران الاسلام الحرب وتقبل بسلام يصاغ بمواصفات المعادلة الملعونة حتى يمكن أن تجر الثورة الاسلامية الى ساحة أنظمة المعادلة وأطرافها ، وحينها لن يبقى أمامهم إلا الحركة الاسلامية وجماهيرها التي «سيدجن» منها من هو قابل للتدجين وسيعزل منها من يمكن عزله والآخرون سيسحقون بلا رحمة ليتم العلو الاسرائيلي وتعود الهيمنة والسيادة للغرب على كل انحاء وطننا .

إن علينا أن ندرك أن «تلك الحرب» هي تماماً «هذه الحرب» فسقوط صدام مهما كلف من شهداء وخسائر هو الطريق الوحيد لأن تتواصل انتصارات الجماهير المسلمة وبتواصل صعودها . والذين يتصورون داخل ايران أو خارجها — أن الصعود الاسلامي المعاصر يمكن حسابه بعدد الشهداء أو ملايين الخسائر عليهم بمراجعة فهمهم للاسلام ذاته ولتاريخه وللمهمات الصعبة التي تنتظر أبنائه اليوم ، كما أن الذين يتصورون أن هناك أمكانية لبناء نظام اسلامي مستقل وناهض بدون أن يكون في حالة حرب مستمرة مع قوى الكفر والجاهلية على حدوده ، أيضا ، لا يدركون جوهر الاعلان الأسلامي العظيم في تحرير الأمة وحريتها ، أن هذه الحرب أن توقفت فلن يقف الغرب صامتاً محايداً بل سيطلب المزيد ، سيطلب رأس الثورة الاسلامية في ايران ورأس الحركة الاسلامية خارجها ، إن جوهر الغرب هو التسلط والعنف والأهم من ذلك قدرته على توليد التسلط والعنف ومن يتنازل أمامه اليوم عن اعتاب المنزل سيترك له غداً كل المنزل وقد ذبح في أحد أركانه .

وسواء تحرك الشعب العراقي أم لم يتحرك والجميع يعرف أي أرهاب يمارسه صدام واي مذبحة هي الدائرة في مدن العراق وقراه على أيدي صدام وأعوانه فواجب الاسلام اليوم أن ينتشر وأسقاط نظام بغداد هو الخطوة الأولى نحو تحقيق هذا الواجب من أجل صعود ونهضة اسلامية شاملة . نعم ، ان معركة الاسلام التاريخية المعاصرة ستكون على أبواب فلسطين في مواجهة مركزية الهجمة الغربية الشرسة . ولكن هذه المعركة تتطلب أن يشتعل كل المحور من طهران الى القدس . والذي يحدث في لبنان الآن ليس نهاية حرب ، بل هو — حقيقة — بداية الحرب ، التي ستكتمل عندما تمسك الجماهير المسلمة بزمام أمرها وهي تتحرك تحت ظل عقيدتها ووجهتها أبواب بيت المقدس .

الطليعة الاسلامية

ليلة الاتصال المطلق

المعلم الشهيد سيد قطب

يدور الحديث في سورة «القدر» المكية، ذات الخمس آيات، عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال..

ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الاعلى.. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشر جميعا.. العظمة التي لا يحيط بها الادراك البشري: (انا انزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ماليلة القدر؟).. (ليلة القدر خير من الف شهر)..

— تكاد النصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث ترف وتنير.. بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود، نور الله تعالى المشرق في قرآنه: (انا انزلناه في ليلة القدر).. ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقا مع نور الوحي الالهي ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الارواح السارية في هذا الوجود: (سلام هي حتى مطلع الفجر)..

والليلة التي تتحدث عنها السورة هي الليلة التي جاء ذكرها في سورة «الدخان»: (انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين، رحمة من ربك انه هو السميع العليم)..

والمعروف أنها ليلة من ليالي رمضان كما ورد في سورة «البقرة»: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان).. أي التي بدأ فيها نزول القرآن على قلب الرسول ﷺ ليبلغه الى الناس.. وفي رواية ابن اسحق أن اول الوحي بمطلع سورة (العلق) كان في شهر رمضان، ورسول الله ﷺ يتحنث في غار حراء...

وقد ورد في تعيين ليلة القدر آثار كثيرة، بعضها يعين الليلة السابعة والعشرين من رمضان، وبعضها يعين الليلة الواحدة والعشرين، وبعضها يعينها ليلة من الليالي العشر الأخيرة، وبعضها يطلقها في رمضان كله.. فهي ليلة من ليالي رمضان على كل حال في أرجح الآثار..

اسمها (ليلة القدر)..

قد يكون معناه التقدير والتدبير، وقد يكون معناه القيمة والمقام، وكلاهما يتفق مع ذلك الحدث الكوني العظيم، حدث القرآن والوحي

والرسالة.. وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد. وهي خير من ألف شهر. والعدد لا يفيد التحديد في مثل هذه المواضع من القرآن، انما يفيد التكثير.. والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر.. فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات.

والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الادراك البشري: (وما أدراك ما ليلة القدر؟) وذلك بدون حاجة الى التعلق بالأساطير التي شاعت حول هذه الليلة من أوهام العامة، فهي ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن، وافاضة هذا النور على الوجود كله، واسباغ السلام الذي فاض من روح الله على الضمير البشري والحياة الانسانية، وبما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور وشريعة وآداب، تشيع السلام في الأرض والضمير، وتنزيل الملائكة وجبريل — عليه السلام — خاصة، باذن ربهم، ومعهم هذا القرآن — باعتبار جنسه الذي نزل في هذه الليلة — وانتشارهم فيما بين السماء والأرض في هذا المهرجان الكوني، الذي تصوره كلمات السورة تصويرا عجيبا..

وحين ننظر اليوم من وراء الأجيال المتطاولة الى تلك الليلة المجيدة السعيدة، ونتصور ذلك المهرجان العجيب الذي شهدته الأرض في هذه الليلة، ونتدبر حقيقة الأمر الذي تم فيها، ونتملى آثاره المتطاولة في مراحل الزمان، وفي واقع الأرض، وفي تصورات القلوب والعقول.. فاننا نرى أمرا عظيما حقا، وندرك طرفا من مغزى هذه الاشارة القرآنية الى تلك الليلة:

(وما أدراك ماليلة القدر؟)..

لقد فرق فيها من كل أمر حكيم، وقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين، وقد قررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد. اقدار أمم ودول وشعوب، بل أكثر واعظم.. أقدار حقائق وأوضاع وقلوب!!

ولقد تغفل البشرية — لجهالتها ونكد طالعها — عن قدر ليلة القدر، وعن حقيقة ذلك الحدث، وعظمة هذا الأمر، وهي منذ أن جهلت هذا واغفلته فقدت أسعد وأجمل آلاء الله عليها، وخسرت السعادة والسلام الحقيقي — سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع — الذي وهبها اياه الاسلام، ولم يعوضها عما فقدت ما فتح عليها من أبواب كل شيئ من المادة والحضارة والعمارة.. فهي شقية، شقية على الرغم من فيض الانتاج وتوافر وسائل المعاش!!

لقد انطفأ النور الجميل الذي أشرق في روحها مرة.. وانطمست الفرحة الوضيئة التي رفت بها وانطلقت الى الملأ الأعلى، وغاب السلام الذي فاض على الأرواح، والقلوب، فلم يعوضها شيئ عن فرحة الروح ونور السماء وطلاقة الرفرفة الى عليين.

ونحن — المؤمنين — مأمورون أن لا ننسى ولا نغفل هذه الذكرى، وقد جعل لنا نبينا ﷺ سبيلا هينا لينا لاستحياء هذه الذكرى في أرواحنا، لتظل موصولة بها أبدا، موصولة

كذلك بالحدث الكوني الذي كان فيها .. وذلك فيما حثنا عليه من قيام هذه الليلة من كل عام، ومن تحريها والتطلع اليها في الليالي العشر الأخيرة من رمضان ..

في الصحيحين: (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان).. وفي الصحيحين كذلك: (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

والاسلام ليس شكليات ظاهرية .. ومن ثم قال رسول الله ﷺ في القيام في هذه الليلة أن يكون «ايمانا واحتسابا».. وذلك ليكون هذا القيام استحياء للمعاني الكبيرة التي اشتملت عليها هذه الليلة «ايمانا».. وليكون تجردا لله وخلوصا «واحتسابا».. ومن ثم تنبض في القلب حقيقة معينة بهذا القيام.. ترتبط بذلك المعنى الذي نزل به القرآن ..

والمنهج الاسلامي في التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة في الضمير. ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وايضاحها وتثبيتها في صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير.

وقد ثبت أن هذا المنهج وحده هو أصلح المناهج لاحياء هذه الحقائق ومنحها الحركة في عالم الضمير وعالم السلوك، وأن الادراك النظري وحده لهذه الحقائق بدون مساندة العبادة، وعن غير طريقها، لا يقر هذه الحقائق، ولا يحركها حركة دافعة في حياة الفرد ولا في حياة الجماعة ..

وهذا الربط بين ذكرى القدر وبين القيام فيها ايمانا واحتسابا، هو طرف من هذا المنهج الاسلامي الناجح القويم.

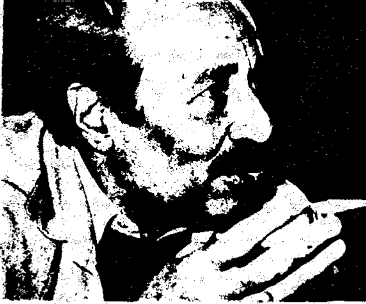
اضواء على .. وقائع الوطن الاسلامي

تودة .. وابعاد الانهيار الكبير

«أنا نور الدين كيانوري. أنتميت الى حزب تودة منذ عام ١٩٤٢م وفي عام ١٩٤٥م أو ١٩٤٦ أصبحت عضواً للجنة المركزية ...... وحتى تاريخ قريب من انتصار الثورة —أي قبلها بعدة أشهر— انتخبت سكرتيراً أول للجنة المركزية للحزب».

هكذا بدأ كيانوري السكرتير العام لحزب تودة —الحزب الشيوعي الايراني— اعترافاته على شاشة التلفزيون وملايين المسلمين احتشدت أمام أجهزتها تراقب الانهيار الكبير وقد توالت اعترافات اعضاء اللجنة المركزية للحزب الاسطوري. ما هي دلالات انهيار «تودة» وقبل ذلك: لما كان لابد أن ينهار؟

حزب «تودة» هو أقدم حزب شيوعي تم تأسيسه في الوطن الاسلامي. بل في كل العالم الثالث فنظمته الأولى تأسست عام ١٩١٩م لا يضاهيه في تاريخه الطويل الا الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي بنيت منظمته الأولى في نفس العام أيضا مع الفارق في أن تودة بدأ بعناصر ايرانية، والأخير بدأ بيهود مهاجرين وفيما بعد ضم اليه بعض الفلسطينيين. وكما كان الحزب الفلسطيني مهماً كقاعدة ساهمت في تأسيس الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية فقد كان «تودة» مهماً أيضا كونه يعمل في



كيانوري: النهاية

أحد بلدان «هلال الأزمات»، ويقع مباشرة على حدود الاتحاد السوفيتي وظل دائماً منطقة صراع بين الدول الكبرى.

عقب الحرب الثانية أوقف الاتحاد السوفيتي عمل «الكوفترن» الأممية الشيوعية التي كانت تشرف مباشرة من موسكو على كل اعمال الاحزاب الشيوعية في العالم وذلك في اطار تسوية مابعد الحرب وتقاسم النفوذ ما بين الغرب الشيوعي والغرب الرأسمالي. ولكن الحقيقة أن الاشراف السوفيتي المباشر لم ينته على أعمال الأحزاب الشيوعية في العالم. ولكنه انتقل من مكاتب «الأممية»

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. مع فارق في العمل. فقد أخذت بعض الأحزاب الشيوعية في العالم هامشياً أوسع للاجتهاد في اتخاذ القرار الخاص كما أن العلاقات في موسكو أصبحت غاية في السرية. إلا أن العديد من الأحزاب الشيوعية استمرت في علاقة يومية مع الرفاق في موسكو ومن أهم هذه الأحزاب كان حزب «تودة».

وكما كل الشيوعيين في العالم الثالث فقد كان الحزب العوبة بأيدي السوفييت وبالنسبة لموسكو كان النفوذ دائماً أهم من الشيوعيين. في مصر الستينات ضحت موسكو بالحزب الشيوعي المصري قرباناً على أقدام عبدالناصر. وتاريخ القضية الفلسطينية حتى اليوم مازال ملطخاً بمظاهرات الشيوعيين الفلسطينيين ضد أبناء امتهم في ١٩٤٨م حين خرج الشيوعيون يطالبون بوقف الحرب ضد «أخواننا اليهود» كما كانوا يقولون ثم يسارعون بتحويل اسم الحزب الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي في نفس ليلة اعلان بن جوريون قيام اسرائيل ودم العرب الفلسطينيين لم يجف من الطرقات بعد. وفي ايران أيضا لم يكن الأمر يختلف في آخر سنوات الحرب الثانية كان الاتحاد السوفياتي يقدم كل الدعم للشيوعيين حتى بقواته لتأسيس ما أطلق عليه اسم «جمهورية أذربيجان» ثم في نهاية الحرب وعلى مائدة مساومات «يالطا» كان الشيوعيون يتركون للجحيم بلا عناية! . وفيما بعد بدأ الشيوعيون الايرانيون مرحلة جديدة من عملهم ــ ومنظمة جديدة أيضاً ــ يشكلون فيها ورقة ضغط سوفياتية على نظام الشاه وجزء من اللعبة الدولية حول ايران. ومع السبعينات بدأت حكومة الشاه تفتح قنوات التعامل مع الكرملين وفي نفس الوقت الذي كان يدشن فيه انبوب الغاز الايراني الذاهب الى موسكو كان الشيوعيون الايرانيون يذهبون الى غياهب الصفقة.

المهم.. في يناير ١٩٧٨ بدأت انتفاضة الجماهير المسلمة في ايران ضد نظام الشاه وحتى فبراير ١٩٧٩ لم يكن هناك أي دور حقيقي للشيوعيين في الثورة. والذي يعرف الأحزاب الشيوعية وطريقتها في العمل يدرك أن ذلك كان طبيعياً تماماً فقد كان الشيوعيون الايرانيون ينتظرون المنتصر ليقفوا معه. ولم تكن تلك تجربتهم الأولى في ايران. ففي الفترة الثانية من حركة مصدق في مطلع الخمسينات. تركوا مصدق وحركته تسقط «كأي شيء» في يد الأمريكان وقد تخلوا عنه تماماً حين لاحظوا أن ميزان القوى لم يعد معه.

في السبعينات وما أن تأكد انتصار «خط الأمام» حتى سارع الشيوعيون الى اعلان تأييدهم للثورة وللأمام بل وسارعوا الى التصويت «بنعم» للجمهورية الاسلامية ومن وقت لآخر كانوا يقدمون بعض الخدمات للحكومة الاسلامية خاصة في مجال كشف العناصر الاميريكية. بل أن الناس في ايران اطلقوا على كيانوري لقب «آية الله كيانوري» استهزاءاً واستغراباً من قدرته على النفاق للثورة. ولكن الحقيقة كانت شيئاً مخالفاً، فمع انتصار الثورة الاسلامية انتهت لعبة الاتفاق ــ المساومة الدولية في ايران وأصبح لكل الأطراف الدولية مطلق الحرية في المحاولة لأسقاط نظام الثورة. فالمسألة هي الاسلام. والأسلام رعب الآخرين. وهكذا بدأ الشيوعيون ــ وبأمر من موسكو ــ في تجهيز منظمتهم السرية محاولين التغلغل في الجيش والحرس الثوري والحكومة الاسلامية. رغم أنهم كانوا حزباً مصرحاً به له صلاحية العمل العلني...

ولكن المسألة: أن السوفييت كانوا يريدون أن يجربوا دورهم فلعلهم يصلون أخيراً الى البحار الدافئة حيث كان يحلق دائما حلم القياصرة منذ اكثر من قرنين من الزمان. وفي الشهور الأخيرة بدأ سذج حزب تودة يتصورون أنهم قد أصبحوا قادرين على ازاحة النظام الاسلامي. والمضحك في الأمر أن الشيوعيين أصحاب نظريات الثورات الجماهيرية كانوا يخططون في ايران لازاحة أعظم ثورة شعبية في عصرنا باستخدام بعض المجموعات العسكرية والمسلحين من الحزب.

ومنذ بداية هذا العام وحتى الرابع من مايو حين أعلن



أندروبوف: هل يحفظ الدرس

حل الحزب وطرد ١٨ من موظفي الصف الأول في سفارة الاتحاد السوفيتي من طهران كان شباب الحرس الثوري وبهدوء وثقة ينفذون أهم عملية قاموا بها لحماية الثورة الاسلامية. فبعد ضبط قيادات الحزب تسلم بعض جواسيس سفارة موسكو وثائق وتقارير تجسسية بدأت مهاجمة كل من شملتهم الأدلة من اللجنة المركزية وشيئا فشيئاً تكشفت أبعاد مؤامرة الانقلاب الذي كان تودة يحضر له فتواصلت عمليات القبض على الصف الأول والثاني في الحزب فيما كانت الاعترافات تتوالى من الجميع. والذين شاهدوا قادة الحزب على التلفزيون يدلون باعترافاتهم من المراسلين الأجانب أكدوا أن الجميع كانوا في حالة عادية ولم تكن هناك أية آثار للتعذيب كما أننا هنا سننقل بعض نصوص الاعترافات التي تؤكد أنه لم يكن هناك أي ضغط حقيقي على المعترفين فقد كان بعضهم يقول مالم يكن يستدعيه الاعتراف بل ويقوم متبرعاً بتحليل الوضع الانهياري للحزب المجيد.

قال كيانوري: «بالنسبة للمخالفات التي قمنا بارتكابها فألخصها بستة محاور أساسية: أولاً: وهو أهم هذه المخالفات ويتلخص في تجاهل وتجاوز شعار (لا شرقية ولا غربية) الذي أعلن من قبل الأمام الخميني وأصبح أساس السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية. ويمكن القول أنه بسبب الالتصاق والارتباط الشديد بين توجهاتنا وتوجهات الحزب الشيوعي السوفياتي في السنوات العشر الماضية. ونتيجة ذلك اننا ضللنا السبيل. وهذا الضلال أخذ يزداد يوماً بعد آخر حتى تحول من عمل «سياسي» الى عمل «جاسوسي» وخيانة للجمهورية الاسلامية وقد أشرت خلال التحقيق معي إلى مسائل دقيقة في هذا المجال من قبيل تزويدنا الاتحاد السوفيتي بتقارير سياسة وعسكرية».

وقال كيانوري أيضا: «لقد أشرت الآن أنه في المجالات السياسية والعسكرية المتعلقة بظروف ايران العسكرية وقواتها المسلحة وسياستها العامة فقد كنت أعد هذه التقارير بنفسي وبين فترة وأخرى ترسل الى الاتحاد السوفيتي» واصل كيانوري تعداد مخالفات حزبه ثم علق في النهاية: «في نظري أن هذه المخالفات كثيرة وكلها تدور في اطار الجاسوسية ــ الخيانة ــ والمخالفة. وهي ثقيلة الى الحد الذي أرى أنها تستحق أقسى العقوبات».

محمد علي عمولي. عضو اللجنة المركزية للحزب.

قال وهو يعلق على مجمل نشاطات الحزب: «نعم لقد أدت تصرفات وسلوك الحزب غير القانونية والخيانية الى تعطيل الحزب وسلب قانونيته وفي الحقيقة فان الحزب هو الذي أصدر الحكم على عدم قانونيته بنفسه. وأنا باعتباري أحد مسؤولي الحزب أرى لنفسي الحق في الاعلان عن انحلال الحزب وليس سلب قانونيته فقط. وأقول بأنه لا يوجد بعد اليوم حزب باسم الحزب الشيوعي الايراني وكل من يدعي بالانتماء لهذا الحزب بعد اليوم فليعلم أنه ينتمي الى حزب منحل ليس له وجود خارجي واني اعتبر انحلال الحزب نتيجة طبيعية ومنطقية جراء مواقفه وأخطائه طوال تاريخه السياسي وأقول أن

جريمة هذا الحزب لن تكفر إلا بانحلاله وانسحابه من ساحة العمل السياسي وأكرر أن انحلال الحزب نتيجة طبيعية ومتوقعة لمواقف الحزب الخائنة وغير القانونية خلال السنين الماضية وخصوصاً الأخيرة من عمره وكلمتي الى الشباب الاعضاء في الحزب بأن يعلموا الحقيقة . ان حزبهم ليس حزب الكادحين وليس حزب المحرومين . وليس حزباً في الحقيقة . إنما أداة في يد الكرملين ! »

ان ما سبق جزء صغير من الاعترافات الطويلة لمعظم قادة الحزب ولكن أهم جزء في الاعترافات كما نرى كان الجزء الخاص بمنظر الحزب ورئيس تحرير صحيفته « طريق الشعب » الذي قال بوضوح ودقة : « ان لا مكان للشيوعية في ايران اليوم » .

إن ما يمكن ملاحظته أن قيادة الكرملين الجديدة « مجموعة اندروبوف » قد حزمت أمرها من البداية على أن تقف بمواجهة ايران الاسلام ولذا فقد دفعت للعراق بكل ما يحتاجه من السلاح السوفيتي في نفس الوقت الذي تم فيه تعيين شيوعي من أصل مسلم في اللجنة المركزية ليكون مختصاً بالعمل في المناطق الاسلامية وخاصة ايران وافغانستان . ثم في نهاية الأمر أعطت الضوء الأخضر للبدء في العد التنازلي نحو تغيير النظام الاسلامي في ايران .

إن خطر وجود نظام اسلامي على الاتحاد السوفيتي أمر لا يحتاج الى توضيح فالملايين من المسلمين الواقعين تحت الاستعمار الشيوعي في الاتحاد السوفيتي يعيش معظمهم على حدود ايران وعملية المد الاسلامي الثوري في الوطن الاسلامي هي أسقاط حاسم لكل الشعارات الماركسية حول العدالة . وقد حزم السوفييت أمرهم بعد فترة النفاق الطويلة وبدأوا العمل المباشر ضد الثورة الاسلامية في ايران . ناسين تماماً كل دعاوي العداء المشترك للامبريالية !

ولكن النتائج كانت بالتأكيد ضربة حاسمة للقيادة السوفيتية الجديدة تحاول الآن تغطيتها بالتشدد في لبنان .

أما على الصعيد الداخلي لايران فقد انتهت أخيرا أسطورة حزب توده التي أظهرت أن وراء التاريخ الطويل للحزب لا يكمن إلا الانهيار وأن وجود الاسلام الحقيقي كفيل بانهاء الخطر الشيوعي تلقائياً . وقد كان حزب تودة آخر قوة منظمة كان يحتمل دائماً أن تتآمر على الجمهورية الاسلامية بعد التحلل والضربات القاصمة التي أصابت مجاهدي خلق .

أما على صعيد الوطن الاسلامي فقد كانت الثورة الاسلامية في ١٩٧٩م الاشارة الأولى الى ملامح عصر الثورة القادم في وطننا . أما انهيار حزب تودة فقد اكد ازاحة الماركسية عن طريق الثورة في الوطن الاسلامي رغم الدفعة الهائلة التي أخذتها في الستينات ورغم الشروط غير العادية التي أحاطت بحزب تودة خلال السنوات الأخيرة في ايران فقد كان الحزب قانونياً تماماً ويمارس نشاطه بكل حرية . ولكن المراقب الدقيق الذي كان يفهم الاحزاب الشيوعية وتاريخها وكان يفهم طبيعة الثورة الاسلامية في ايران كان يدرك أن « تودة » كان يسير الى نهايته . فعندما ترفع راية الأسلام فأي شعار آخر سيكون اكثر انسانية ؟ !

اخيرا . نرجو أن تكون قصة « تودة » ونهايته . نهاية للأصوات التي تصرخ هنا وهناك بدون تحليل ولا وعي متهمة الثورة الاسلامية بالانحياز واللاتوازن في مواجهة القوى . بدون فهم صائب لطبيعة القوى في المنطقة والعالم وكيفية مواجهة كل منها .

وهكذا .. ويوماً بعد يوم ... تتأكد أمكانية النهضة المستقلة عن القوى الشيطانية الكبرى في العالم . تتأكد « لاشرقية ولا غربية » .

أ ص

فرنسا .. والعنصرية الصليبية

في أقل من شهر قامت فرنسا الاشتراكية بسلسلة خطوات ثورية قد تعجب الكثيرين من السائرين على طريق الحداثة والتغريب .. فبعد الاضرابات والنضالات الرائعة التي قادها العمال المسلمون في مصانع السيارات خرج رئيس الوزراء ووزير الداخلية ليعلنا في الصحافة والتلفزة بان هؤلاء العمال « شيعة » تحركهم « ايران » .

وبعد خطابات « الاذكياء الاشتراكيين » قامت الصحافة والاعلام وأحزاب اليمين واليسار بحملة ارهابية عنصرية ضد « التطرف الاسلامي » في مصانع فرنسا .. ووقفت نقابات العمال اليسارية « المدافع الامين عن حقوق الطبقة العاملة » ضد العمال المسلمين .. وحين قامت ادارة المصانع بطرد عشرات « المشاغبين » وقف أحد قادة الحزب الاشتراكي الحاكم . المحب جداً للعرب والعروبة (ليونيك جوسبان) ليقول بان هذا أمر معقول لان السياسة والتخريب والتطرف غير مقبول في « العمل النقابي » .

بعد ذلك داهمت الشرطة منزل الزعيم الجزائري أحمد بن بلا وطردته خارج فرنسا .. وأعلن وزير الدفاع الفرنسي ان أمن فرنسا من أمن العراق .. وترحم البعض على بن بللا .. وتحمس البعض لصدام العراق وقد وصلته النجدة .. ولكن نسي الجميع أمراً واحداً : اولئك العمال المسلمون الذين دعتهم مجلة الدستور — لندن — (المشهورة بعروبتها) الى الانتباه الى انهم مالكيون والى الاحتفاظ « بسنيتهم » وعدم الانجرار وراء « شيعة ايران » .. اولئك العمال الذين حملوا الاسلام راية للتوحيد والجهاد .. وضربوا عرض الحائط بدعوات التقسيم والتمزيق والشعوبية والجاهلية الحديثة .. اما الامر الهام والمثير للسخرية والعجب فهو صمت « الأنظمة الاسلامية » عن تلك الحملة العنصرية الصليبية المعادية للاسلام والمسلمين في فرنسا .. ويلي هذا الصمت ، صمت اليسار العربي الذي بح صوته وكلت يداه من العمل في سبيل « حقوق الانسان » في كل مكان .. ولم ير أن أخاه العربي المسلم المطرود من المصنع والمطارد في لقمة العيش . يستحق اي اهتمام .. لقد استفتت الصحف الفرنسية بعد قضية مصانع السيارات عدداً من المنظمات العمالية العربية في فرنسا .. وكان جوابها واحداً : لنتحد ضد الاسلام .. لاننا اشتراكيون وشيوعيون ..» في امتحان الانتماء للعمال سقطت التجمعات المسماة عمالية والمتكلمة باسم حقوق العمال .. لماذا؟ لان الاسلام في قلوب وعقول العمال حتى في قلب

المصانع الفرنسية ! والاسلام هو العدو المشترك لليسار الفرنسي والعربي .. لقد دفع بعض العمال ثمن هذا الحلف غير المقدس .. ودفع بن بللا الثمن المضاعف طرداً وتهجيراً .. فهل يتعظ اولئك الذين لازالوا يتحدثون عن الديمقراطية والحريات في فرنسا ؟ لقد أظهرت قضية المصانع وقضية بن بللا ان الديمقراطية والحرية تقفان عند حدود العداء للاسلام في فرنسا !! ديمقراطية وحرية للبيض المستعمرين .. وعبودية واستغلال للسمر والحمر والسود .. ديمقراطية وحرية لليسار واليمين .. وقمع وارهاب ضد المسلمين ..

نزيه دياب

مبارك ومخابراته .. وباكستان

قام الرئيس — بالصدفة — حسني مبارك بزيارة قصيرة لباكستان استغرقت ٢١ ساعة فقط . قادماً من جولة آسيوية في اندونيسيا والصين واليابان وكوريا . واستقبل استقبالاً رسمياً في اسلام آباد . ورحب به الجنرال ضياء الحق ترحيباً كبيراً . ولا غرو في هذا فإن وشائج الصداقة لابد وأن تأخذ محلها بين قلبي الرجلين فهم — فضلا عن انتمائهما لطبقة العسكر — أخوة في الرضاعة من أم واحدة عاصمتها واشنطن وان كانت درجة رضاعتهما تختلف فإن شرب الجنرال الباكستاني رشفة او «مصة» واحدة فان الرئيس الذي لا يمت للحسن ولا للبركة بصلة يشرب «بالجردل» .

والرئيس مبارك يعيش والفزع يطارده منذ شاهد بعينيه صقور الاسلام تسلب سلفه المعدوم روحه . ولهذا لا ينزع مبارك عن صدره الدرع الواقي من الرصاص .

كانت زيارة طريفة . أعطى فيها مبارك فرصة الحديث الى مؤتمر صحفي قبل رحيله من اسلام آباد وسط سيول من الأمطار المتواصلة . فماذا قال في مؤتمره ؟

١ — مشروع ريجان للسلام : أيد مبارك — ولا غرابة في هذا — مشروع سيده ريجان لتمكين اسرائيل من رقبة الفلسطينيين . وقال — في لهجة الناصح الأمين الحريص على مصالح أرض وشعب فلسطين — انها آخر فرصة وعلى المنظمة قبول المشروع . والحقيقة أنه عمل في باكستان كمندوب وفي أمين للاب ريجان حتى أن ريجن اتصل به تليفونيا والسبب بالطبع مجهول .

٢ — عن الحرب بين ايران والعراق :

قال مبارك أن مصر لا تحب أن ترى الدم المسلم يسفح ويراق وأنها تؤيد وقف الحرب بين الدولتين الشقيقتين وأن مصر تتخذ موقفاً محايداً الى آخر الاكاذيب والاضاليل التي لا يرى الرئيس مبارك فيها غضاضة .

وأطرف ما حدث هو نشر جميع الصحف الباكستانية في نفس الاسبوع وقبل أن يغيب كلام مبارك عن الأذهان خبراً عن المتطوعين المصريين — وهو الاسم المهذب للمرتزقة — الذين يحاربون في العراق ضد ايران .

نشر الخبر في الصفحات الأولى لجميع الصحف الأردية والانجليزية يوم ٢٣ ابريل . وليس الخبر من صنع الصحافة الدولية أو الباكستانية بل هو عبارة عن كلمة



جنرال باكستان



حسني مبارك

طه ياسين رمضان النائب الأول لرئيس وزراء النظام العراقي القاها في وداع المرتزقة المصريين من بغداد الى الجبهة . وقال طه البعثي — وهو قائد الجيش الشعبي أيضا — أن الجيش المصري يقاتل الى جانب القوات العراقية منذ بداية هذه الحرب في سبتمبر ١٩٨٠ .

وافتضح مبارك وبدا أمام الشعب الباكستاني دجالاً على حقيقته فلو أنه كان يحرص على وقف الحرب وعدم اراقة الدم الاسلامي لما ارسل مرتزقته لأن الاشتراك في هذه الحرب بالمال أم الرجال أم السلاح من شأنه اراقة الدم المسلم واطالة مدة الحرب فضلا عن أنه جريمة في حد ذاته .

٣ — التيار الاسلامي في مصر

سئل مبارك عن التيار الاسلامي في مصر — وهو يسميه كما يسميه كل فرعون تيار التطرف — فقال أنه تيار يعم العالم وأنه ليس مقصوراً على مصر وأن حكومته أتخذت من الاجراءات المشددة مالن يسمح بتكرار ما وقع للسادات المحموم — ومعنى هذا ببساطة تشديد القبضة على التيار الاسلامي الذي ينتشر رغم انفه وأنف غيره في أرض الكنانة .

طرائف الزيارة :

المعروف أن مبارك منذ حادث اعدام السادات يعيش حالة رعب شديدة فهو يتوقع أنه قد يقتل برصاص المسلمين في أي وقت . ولهذا يرفض دائماً الاشتراك في أي احتفال ، وقد ضاعف أعداد رجال الأمن كما ضاعف — أو ضوعفت له — نفقات الأمن الخاص .

والفزع الذي يطارد مبارك فزع يعرف مصدره . فمنبع الخطر عليه من التيار الاسلامي فقط ولذلك حدثت في زيارته لباكستان ما هو طريف في هذا الشأن .

المخابرات المصرية رغم قوتها وذكائها — لديها اقتناع غبي أعمى أن الجماعة الاسلامية في باكستان تمثل الاخوان المسلمين في مصر . بل أكثر من هذا ، تظن بل وتعتقد المخابرات المصرية ان الجماعة الاسلامية تدرب عناصر مصرية متطرفة وترسلهم الى مصر للقيام بعمليات الاغتيال وما اليه . والذي يعتقد هذا الرأي أحمق بلا شك لأسباب :

١ — ان الجماعتين تختلفان في اسلوب تحركهما وإن اتفقتا في النظرية .

٢ — ان الجماعة الاسلامية لم ولا تدرب أحداً في وطنها الأم إلا على خوض الانتخابات ومعارك السياسة العلمانية فكيف تدرب عناصر لغيرها؟

٣ — أن هناك بعض الاختلاف الفكري بين الجماعتين وان كان مكتوماً الا أنه يظهر من حين لآخر. ودونكم الاحاديث واللقاءات والتصريحات التي يدلي بها زعماء الطرفين.

٤ — أن انتشار كتب الشيخ المودودي بين الشباب المصري ليس معناه أن هناك صلة بين الجماعة الاسلامية والتيار الاسلامي في مصر اللهم الا في نطاق الكتب. وأحلف بالله أن شباب الحركة الاسلامية بمصر او زعماءها إذا اختلطوا بزعماء الجماعة الاسلامية حالياً لما استطاعوا العيش معهم في وئام أكثر من شهر ولأصدروا في حقهم من الفتاوى ما سيكون في محله مائة بالمائة لتناقض اسلوب وأخلاق وطريقة تحرك الطرفين.

لكن المخابرات المصرية إذا اصرت على شئ فهو الصواب ولو عارضته الدنيا بأسرها. وانطلاقاً من هذا الاعتقاد يتردد أهل السفارة المصرية في أسلام آباد — وكلهم جواسيس — على مكاتب الجماعة في لاهور في محاولة لاكتشاف هذه الصلة أو التعرف على المركز الذي يتم فيه تدريب المصريين أو اصطياد أحد المصريين يحوم حول مكاتب الجماعة ونخص بالذكر رحلات السيد فتحي عثمان الملحق الصحفي ومحمد يوسف مدير مكتب وكالة انباء الشرق الأوسط الذي كان يعمل سكرتيراً لمنصور حسن حين كان مسئولا عن رئاسة الجمهورية والسيد سراج مدرس اللغة العربية بمعهد الدبلوماسيين وغيرهم من الجواسيس المصريين المتواجدين في باكستان والذين يلعبون لعبات مزدوجة ويتخفون في مناصب رسمية وغير رسمية.

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد أيضا شددت المخابرات المصرية اجراءاتها الأمنية على مبارك وطلبت من المخابرات الباكستانية ايكال مهمة أمن الرئيس لها. فمن يدري؟ ربما اندس أحد رجال الاخوان المسلمين أو الجماعة الاسلامية وسط المخابرات الباكستانية وذبح مبارك كما ذبح السادات. وأبدت المخابرات المصرية من فنون التجسس ما أذهل الباكستانيين وجعل المخابرات الباكستانية تشعر بطفولتها أمام التجسس المصري وعكفت على دراسة أفلام ومواد تركتها المخابرات المصرية لهم حول طرق ووسائل حماية الرئيس. وربما يتم التعاون بين تلاميذ المخابرات الباكستانية وأساتذتهم المصريين في القريب في هذا الشأن.

على طريق سيدة مصر الأولى:

سحب مبارك — كما كان يسحب السادات — زوجته معه الى الدول التي زارها. وهي كالعادة لا تخرج الا لشراء البضائع وما يلزمها مادامت أموال الشعب في جيوبهم ولم تكتف زوجة مبارك بما اشترته من اليابان والصين وغيرها قبل وصولها الى باكستان فأخذت تتجول في اسواق اسلام آباد وتشتري الجواهر والسجاد الفاخر والمصنوعات اليدوية والفضية والحلي وما اليه لتثبت أنها تسير في نفس خط زوجة فرعون الراحل. بقي أن تعرف عزيزي القارئ أن صحف باكستان نشرت صورة مدام مبارك وهي تشتري ما يلزمها من أسواق اسلام آباد: وكانت هذه فضيحة أخرى.

أما الدوائر الدبلوماسية في اسلام آباد فترى أهمية هذه الزيارة محصورة في محاولة مبارك العودة الى الصف العربي من بوابة باكستان نظرا لما تتمتع به الأخيرة من صلات ود ومصالح مع الدول العربية خاصة.

باكستان
عبدالله مسلم

من فمك ادينك ...
لماذا يجب أن تساعد فرنسا صدام؟

في عددها الصادر بتاريخ ٦ أيار — مايو ١٩٨٣ نشرت مجلة باري ماتش PARIS MATCH مقالاً للصحفي شارل سان برو. المتخصص بشؤون الشرق الأوسط، تحت عنوان — لماذا يجب أن تساعد فرنسا العراق؟

وتنشر الطليعة الاسلامية الجزء الرئيسي من هذا المقال الذي لا يحتاج إلى تعليق لشدة وضوحه. ومن فم الاستكبار العالمي المعادي للاسلام نجد الادانة الصريحة لمواقفه، يقول المقال:

«إن حرب الخميني تستهدفنا أيضاً. هذه الأزمة تهمنا أولاً لأن العراق هو صديقنا. فمع بداية السبعينات كان هذا البلد الذي يتبع سياسة إستقلال وطني قد اختار فرنسا كحليف مميز. النتائج كانت مدهشة. فباريس إستطاعت أن تفتح أبواب الخليج التي كانت حتى الآن محمية انجلو — أميركية. فالعلاقات الاقتصادية بين فرنسا والعراق وصلت بسرعة إلى أرقام مذهلة. أكثر من ١٥ مليار فرنك في عام ١٩٨٢ وحوالي ٨٠٠٠ فرنسي يعملون بين دجلة والفرات.. وبشكل طبيعي أن التعاون الثقافي استتبع ذلك كله واللغة الفرنسية اصبحت إجبارية في المدارس الثانوية الرئيسية. وأخيراً العلاقات السياسية متينة بشكل جيد وتترجم بمساعدة عسكرية مهمة. فاليوم تشكل فرنسا المورد الأول لأنواع الأسلحة المعقدة (طائرات ميراج. هليكوبتر غازيل. صواريخ هوت وايجزوست) للعراق الذي يمتص مع حلفائه السعوديين ٧٠٪ من صادراتنا العسكرية.

أضف الى ذلك أن العراق ليس فقط صديقنا. في ٢٦ نوفمبر — تشرين الثاني ١٩٨٢ أكد الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران: «أن فرنسا لا تتمنى أن يهزم العراق» كذلك كما ذكر نائب رئيس الوزراء العراقي. طارق عزيز، خلال زيارته لباريس في شهر كانون الثاني ١٩٨٣: «أن فرنسا هي أفضل حليف وداعم موثوق للعراق».

هذا الدعم الفرنسي ينطلق من تحليل واقعي لمجمل منطقة الشرق الأوسط. فالسيد كلود شيسون قد ذكر ذلك خلال الزيارة التي أراد القيام بها إلى بغداد في شهر فبراير — شباط ١٩٨٣ في نفس اللحظة التي اعلنت طهران هجومها. فبالنسبة لوزير العلاقات الخارجية اللعبة واضحة: «فثورة الخميني التي تمثل رمز يظهر في الشرق الاوسط وحتى أبعد من ذلك، تثير قلقاً عميقاً. ولذلك فإن فرنسا تساعد العراق وكل الأمة العربية ضد الامتداد الثوري المتطرف لايران».

ولنكون أكثر وضوحاً، يكفي أن نذكر أن العراق يشكل حالياً ضمانة الاستقرار لمنطقة حساسة ومهمة للغرب في مواجهة مد ثورة آية الله خميني. في الواقع أن الجميع يعلم أن أسياد طهران ليسوا مستعدين للتوقف في سهول بلاد الرافدين. فاذا استطاعوا بمغامرة ما أن ينتصروا على العراقيين وتوصلوا الى قلب حكومة البعث. فان الطريق سيكون مفتوحاً أمام الخميني ليفرض نفسه على كل الخليج. بمعنى أن هذا الشخص الفريد يصبح السيد القيم على ٦٠ أو ٧٠٪ من مستوردات أوروبا الغربية واليابان من البترول.

والخبراء الغربيون يستطيعون أن يقدروا حالة الرعب التي ستصيبنا إذا ما كانت مستورداتنا من الطاقة بين يدي آية الله العجوز. فسيكون له بالتأكيد وسيلة ضغط مهمة

على إقتصاد العالم الحر وتستصبح أحلامه حقيقة.

من جهة أخرى فان كل شيء يجعلنا نعتقد بأن الثورة الايرانية لا تتوقف في الخليج وأنها ستحاول مد نفوذها على كل أرض الأسلام — أي ٨٠٠ مليون نسمة . تشكل ساحة عمليات واسعة للخميني.

وبالتحديد فلجهة شواطئ البحر المتوسط تكمن الاحتمالات الأكبر لامتداد العدوى . فالتطرف الديني بدأ يأخذ ابعاداً مقلقة في بلاد المغرب . وبشكل خاص في الجزائر وتونس حيث الحكومات التقدمية تواجه مصاعب أكثر فأكثر في مواجهة هذه الظاهرة الجديدة . والعدوى تصل أيضاً إلى افريقيا السوداء حيث يعد المسلمون بالملايين.

في داكار. باماكو. نيامي. أوغادوغو. اولاغوس. المسؤولون يتتبعون التطورات بقلق. وهنا أيضا مع المهاجرين. فظاهرة التطرف الديني التي تتخذ الخميني كرمز لها فانها تطال الغرب أيضاً.

وبات من الواضح أن الحرب العراقية الايرانية ليست ازمة في آخر العالم تستطيع أن لا نهتم بها . فالمسألة مهمة جداً . في الصحراء على الحدود ما بين الأمة العربية والامة الفارسية تجري أحداث يتعلق بها مستقبلنا . لأننا لا ننسى أن الافكار الجنونية والدينية أو السياسية . هي دائما مصدر الكوارث الكبيرة والمآسي العميقة للانسانية جمعاء.

وفرنسا طبعاً إختارت العراق . وبهذا الموقف فان الحكومة الفرنسية تبرهن على أنها الدولة الغربية الوحيدة التي لديها نظرة واضحة وواقعية للمسألة الأساسية التي تطرح في الشرق الأوسط — إنتهى مقال الباري ماتش —.

زهير عطايا

سودان النميري تحت ضربات الجماهير

مما لاشك فيه أن الوضع الاقتصادي المتردي جداً في السودان أصبح واضحا جداً لكل من يتابع الأخبار وأصبح الشعب المسلم في السودان بكل مستوياته يئن من هذا الوضع الرديء نتيجة السياسة الفاشلة التي يتبعها النظام الحاكم في السودان. فآخر الأحصائيات تقول بأن الديون الخارجية لنظام نميري تزيد عن ٨ مليارات دولار وكان العجز في آخر ميزانية اقتصادية للنظام حوالي المليار دولار ولهذه الأزمة ترجع المظاهرات والانتفاضات العارمة التي تعم السودان من جميع جهات أفراد الشعب ، فمرة إضرابات عمالية تشل الاقتصاد ، وأخرى إنتفاضات طلابية تزلزل أركان النظام . وثالثة بتمرد قادة وضباط الجيش ولقد بدأت المعارضة الاسلامية في الفترة الأخيرة بشهر السلاح في وجه نظام نميري الخائن وكشفت ذلك كثير من الصحف الغربية وخاصة صحيفة الجاردين اللندنية في أوائل شهر مايو حيث أرسل الالآف من القوات المسلحة

السودانية لقمع المعارضة الاسلامية التي اعتمدت الكفاح المسلح الاسلامي ضد النظام وقررت الوقوف بكل ما تملك من إمكانيات أمام حكم جعفر نميري المهترئ حتى إسقاطه وإقامة حكم القرآن في السودان.

لقد قال بعض المراسلين الصحفيين — والذين قضوا فترة من الزمن في السودان : «إن الصحوة الاسلامية السودانية بدأت تعي المرحلة التي تمر بها باعتمادها الكفاح المسلح ضد النظام . ولذا فهي تقوم بعمليات جهادية ضد مؤسسات الشيطان الأكبر أمريكا وذيله النظام الحاكم في مصر وكذلك ضد مؤسسات النظام السوداني على الرغم من الحراسات الضخمة على هذه المؤسسات».

ولقد بدأت تزداد هذه العمليات بعد التحالف بين نظامي نميري ومبارك هذا التحالف الذي يخدم بالدرجة الأولى الصهيونية وأمريكا . كما أشتدت هذه العمليات بعد تواجد قوات الانتشار السريع في الأراضي السودانية وكذلك وكما أشرنا من قبل — بعد المشاكل الاقتصادية الضخمة التي يعاني منها الجماهير والتي اعترف بها نميري صراحة في إفتتاح مؤتمر حزبه «الاتحاد الاشتراكي العربي» عندما قال إن هناك ترديا كبيراً في الأوضاع الاقتصادية ، وإن استمر الحال كذلك فإن الديون الخارجية ستكون أكثر من ٩ مليارات دولار.

وبدلا من معالجة الأزمة من جذورها يعمد نظام نميري الى الترقيع مما يزيد الطين بلة . ولعل أرتباطه بالنظام المصري — المنهار هو الآخر



النميري : أين المفر؟

اقتصاديا — سيجرهما معاً الى الهاوية باذن الله تعالى.

غير أن نميري وبتوجيه من الادارة الامريكية عمد الى اتباع عدة أساليب من شأنها تضليل الشعب المسلم الثائر في السودان. وكل هذه الاساليب تهدف الى هدف واحد وهو بقاء عرشه المهزوز وبالتالي خدمة أسياده الامريكان ومن هذه الأساليب :

— اعترافه للشعب السوداني بأن سبب الأزمات الاقتصادية في السودان إنما يرجع لتقصير بعض المسئولين في العمل وعدم مسئولية آخرين وأنه سوف يعاقب كل المسئولين عن هذه المشاكل وبهذا يخرج هو من اللعبة أميناً نظيفاً !.

— الايحاء بأن السودان مهدد من قبل

عدوان عسكري خارجي وذلك للفت أنظار الشعب الى الخارج بعيدا عن المشاكل والفوضى الاقتصادية والسياسية التي تموج بالسودان ولافساح المجال أمام النفوذ الأمريكي العلني بالدخول للسودان من خلال تقديم تسهيلات عسكرية وإنشاء قواعد أمريكية داخل الأراضي السودانية.

ـــ السعي لخلق اللعب السياسية لخداع الشعب السوداني المسلم مثل الاعلان عن الغاء الاحتفالات والمناسبات الوطنية بدعوى أنه ينفق على هذه الأشياء أموالاً طائلة النظام في أمس الحاجة اليها لدعم عجلة الاقتصاد كما يدعي نميري وذلك لاظهار نفسه بمظهر الحريص على الاقتصاد وعلى مستقبل البلاد الاقتصادي وكما كان يقول السادات المقبور (إنني أركب سيارة فلوكس واجن لأوفر البنزين . وأنا قدوتي عمر بن الخطاب) «كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون الا كذبا» متناسيا نميري أن ارتباطه بالشيطان الأكبر وبنظام مبارك هما السبب الرئيسي للأزمة.

وأخيراً وليس بآخراً فانه يمكن القول بان الاساليب التي ينتهجها نظام نميري العميل من أجل انقاذ نظامه المنهار من السقوط لن تؤتي ثمارها لصالحه إذ انه كلما ازداد طغيان نظام نميري كلما ازداد وعي الجماهير المسلمة الثائرة في السودان.

علاوة على ذلك فان المنطقة تشهد الآن صحوة إسلامية شاملة حيث أدركت جماهير الأمة قضيتها ودورها وليس السودان استثناءاً على الأطلاق.

طارق شريف

محاولة لقراءة حرب الصيف الثاني والثمانين

(الجزء الثاني)

بدا أن المد الجماهيري قد أتسع إبان حصار بيروت وأن أستمرار صمود الجماهير المسلمة في بيروت كان يعني خطراً حقيقيا على كل أعداء الأمة بما تشكله تلك الجماهير المسلمة الصامدة من إلهام للجموع خارج لبنان وبما تلقيه من أضواء على طبيعة الصراع وصحة الطرح الاسلامي في أعتبار أن حرب التحرير الأسلامية طويلة المدى وهي الحل الصحيح لحسم الصراع التاريخي وبما تقدمه .. نموذج للتضحية النهائية . وبما توضحه من حتمية التحالف مع النظام الأسلامي في أيران وكشف القوى المزيفة القبلية العربية والأشتراكية على السواء.

وهكذا كان لابد من تطويق سريع لحركة الجماهير المسلمة وسرقة أنتصارها وتفريغ مضمونه سريعاً قبل أن يشكل نواه لتفجير المنطقة وتبدأ تحركات القوى الشيطانية على عدة مستويات:

١ ـ كسر أرادة الصمود لدى المقاتلين المسلمين في بيروت عبر إستدراج قيادة المقاومة لأخذ مواقف تهادنية وقد تم ذلك كالاتي:

ـ تقوم حكومة لبنان ـ الياس سركيس ـ وفؤاد بطرس ـ التي لا تمثل الشعب اللبناني المسلم الصامد في بيروت بالضغط النفسي على قادة المقاومة والمقاتلين للأستجابة بدعوى انقاذ بيروت من الخراب.

ـ تقوم الأنظمة العربية والسعودية بالذات ـ بالتلويح لقيادة المقاومة بإمكانية الخروج من بيروت سالمين وبإمكانية التسوية وبإعطائها وعد بالضغط على أمريكا لتسمح بقيام دولة فلسطينية على جزء من الأرض.

ـ تقوم أمريكا بأرسال مبعوث (فيليب حبيب) لطبخ التسوية ولتحقيق فتح بيروت للعدو الصهيوني دون قتال ومنع جماهير المسلمين من تحقيق أنتصارها الفذ.

ولا شك أن قيادة المنظمة قد أستجابت لها نظراً لما ذكرناه من قبل من أن طبيعتها العلمانية ولأفتقادها الرؤية الحضارية للصراع فإنها سريعا ما تجر الى طاولة التفاوض.

وهكذا تم أستدراج ياسر عرفات الذي قام باصدار الوثيقة المشهورة أثناء الحصار والتي ضمنها أعتراف المنظمة بجميع القرارات الصادرة من الامم المتحدة في شأن الفلسطينيين مما يترجم في النهاية الأعتراف بالعدو.

إن تلك الوثيقة قد ساهمت في إضعاف أرادة الصمود لدى المقاتلين ولكي ندرك ذلك لابد أن نعرف أسباب صمود الجماهير المسلمة للشعبين الفلسطيني واللبناني.

وان صمود تلك الجماهير ينبع أساساً من وعي تلك الجماهير لطبيعة الصراع «الافنائي» بينها بأعتبارها تمثل في تلك اللحظة طليعة الأمة الأسلامية وفلذة كبدها . وبين رأس الحربة الغربية الممثلة في إسرائيل لتصفية الكيان العقائدي والحضاري لأمتنا.

ينبع صمود تلك الجماهير من ذلك الأمتداد العميق في التاريخ بأتجاه غار حراء وبدر في مواجهة خيبر وبني قينقاع

ينبع من أدراكها أن تلك المواجهة تمثل صراع القوى الأسلامية في مواجهة القوى الشيطانية وبالتالي فهي تمثل (محمد) ﷺ في مواجهة الشيطان وتمثل خالد في مواجهة هرقل.

وهكذا فإن تلك الوثيقة كانت شرخاً هائلاً في صمود الجماهير المسلمة للشعبين اللبناني والفلسطيني داخل بيروت خاصة إذا وضعنا في الأعتبار ما جرى بعدها في الساحة السياسية.

ومن بعد دخل فيليب حبيب بيروت مشفوعاً بالتأييد السعودي ليبدأ في طبخ مؤامرة تسوية لاخراج المقاتلين من بيروت وبذلك يحقق فيليب وفهد أهداف المتأمرين ويقتربا من التكريس النهائي للحقبة الاسرائيلية.

بمعنى أنه إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت وتشتيت قواتها وافقاد الجماهير المسلمة لحليف قوي لم تعد إسرائيل تواجه سوى الجماهير المسلمة المستعصية على الضرب والانقياد (وفي الحقيقة فان اسرائيل على طول تاريخها لم تواجه تحديا حقيقياً الا من تلك الجماهير منذ بدء الصراع وحتى الآن).

وبخروج المقاومة من لبنان يتم سحب نواة جيدة كان يمكنها أن تتحول الى قوة جماهيرية هائلة لأزاحة الحقبة الاسرائيلية بكاملها ولتشكل جداراً صلباً يمكن أن يسقط التسوية في النهاية برغم أنف كل المهادنين.

وهكذا فان آخر معاقل الجماهير قد سقط يلاحظ في هذا الأطار ضرب الملك حسين في معارك أيلول الأسود وإخراجها من الأردن وقيام النظام السوري بضرب العناصر الأسلامية بلا هوادة في مطلع الثمانينات بعد أن وجه ضربات قاسية لهذه الجماهير في حرب لبنان ١٩٧٦م.

وقد قال قادة المقاومة أنهم خرجوا من بيروت لأن بيروت ليست في النهاية مدينة فلسطينية وهذا خطأ تاريخي وواقعي كبير. تاريخيا. الصراع ليس صراعا فلسطينيا أسرائيليا ولكنه صراع اسلامي صهيوني غربي...

مع ملاحظة أن قادة المقاومة قد تنازلوا حتى عن توجهاتهم القومية فمازالت بيروت مدينة عربية!!! اليس كذلك؟؟

وواقعيا فإن صمود بيروت الغربية صموداً فذاً لم يكن أحد يتوقعه ولم تشتك بيروت الغربية بل حتى لم تان من ضربات العسكرية الاسرائيلية بل ظلت شامخة ولم تطلب أبداً أن يخرج مقاتل واحد بل تالمت بيتا بيتا وكانت على أستعداد للصمود حتى النهاية بل لا نقول جديداً إن قلنا أنها قاتلت حتى بعد الخروج إنها قاتلت بجماهيرها المسلمة لانها تدرك البعد الحضاري للصراع.

وهكذا تنتهي معركة بيروت وقد أنتقلت قيادة المقاومة الفلسطينية الى قاعة الأنتظار لأن تمن امريكا بالوفاء بعهد الشرف الذي قطعته على نفسها عبر حبيب وفهد في اعطاء قطعة من الأرض.

وهكذا فلم يعد في الساحة عملياً الا الجماهير المسلمة المحاصرة والمقموعة حتى النخاع من قبل أجهزة الشرطة والجيوش التي لا تطلق النار الا باتجاه شعوبها.

مرحلة بشير الجميل وأخيه أمين استكمالا لضرب الجماهير المسلمة فان القوى الصهيونية كانت تدرك أنه لم يعد هناك إلا الجماهير المسلمة في لبنان لتضربها وتصفيها نفسيا وجسديا ليتم العلو والأفساد الاسرائيلي في المنطقة تماماً وقد بدأ العمل بذلك باتجاهين:

— الأول: إقامة نظام فاشي في لبنان لاستكمال حلقة الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي والاسلامي الذي يقوم بضرب حركة الجماهير المسلمة أولاً بأول فيريح إسرائيل منها لأن قيام نظام يترك هامشاً للجماهير في تنظيم نفسها بشروط أفضل يشكل خطراً أكيداً على الكيان الصهيوني.

الثاني: صنع مجزرة بشعة يتم فيها ضرباً نفسيا لكل تطلعات الجماهير المسلمة إجهاضا لما يمكن أن يكون قد لحق برحم الأمة من أجنة إسلامية في طريقها للظهور وهكذا كانت صبرا وشاتيلا والطريق الأول يأتي عبر تسليم الرئاسة الى الكتائب المارونية لانشاء حكم فاشي



بيروت الصمود والدم

يشكل مع اسرائيل ركيزة أساسية للحقبة الاسرائيلية ويقوم بالتصدي للجماهير المسلمة يمنعها من تطوير نفسها وبروزها للتصدي ولاسرائيل وقد قام الحكم الفاشي بقيادة أمين الجميل بما يلي.

١— نزع سلاح القطاع الغربي من بيروت حيث تتمركز جماهير المسلمين المسلحين.

٢— تشجيع المليشيات المسيحية البالغة خمسة وعشرون ألف مقاتل كتائبي مزودين بأحدث الأسلحة والمحافظة على سلاحها بأيديها.

٣— أعتقال المئات من طلائع الجماهير المسلمة في بيروت الغربية والجنوبية ثم جاءت مذابح صبرا وشاتيلا كوجه آخر من محاولات ضرب الجماهير المسلمة وإجهاض توجيهاتها نحو تنظيم نفسها باتجاه التصدي للغزو الغربي الصهيوني.

وذلك بمحاولة وضع الجماهير في حالة رعب نفسي لا يسمح لها بحرية الحركة الى الأمام.

إن مذبحة صبرا وشاتيلا في النهاية تأتي لافراغ التراكمات الثورية الرائعة والوعي بحقيقة المعركة بيننا وبين اسرائيل والتي اكتسبتها الجماهير المسلمة في لبنان عبر وهج المعارك ووهج التصدي للعدو.

إن صابرا وشاتيلا جاءت لتسحب على — المستوى النفسي — تلك الثقة بالنفس والثقة في القدرة على النصر التي أكتسبتها الجماهير في خلال حرب السبعة والسبعين يوماً.

إن فهم مذبحة صابرا وشاتيلا بمعزل عن التحليل المتقدم هو عبث وتهريج وهو في النهاية جزء من التفريغ أي أنه يساعد على تحقيق أهداف الهجمة.

إن صابرا وشاتيلا بالحساب العسكري والسياسي العادي ليس فيها أي فائدة لجيش إسرائيل الذي قام بها.

فماذا يستفيد جيش الأحتلال من ذبح ٦ آلاف عزل من السلاح بينهم الرجال والنساء والأطفال.

وعلى المستوى السياسي اليس ذلك يشكل عبئا أمام الرأي العام العالمي فضلاً عن الاحباط النفسي الذي يعانيه جنود الاحتلال ولذا فقد كان الهدف الأساسي

المؤسسة الحاكمة في إسرائيل إنما هو تحقيق الهدف النفسي باخراج الجماهير نفسيا من ساحة المعركة وضرب توجهاتها نحو تنظيم نفسها في إتجاه التصدي للهجمة .

وقد قام العدو الكافر بتكليف الميليشيات المسيحية (سعد حداد والكتائب) بالقيام بالمهمة بدلا منه وتحت أشرافه وبمباركته وينبغي علينا هنا أن نورد بعض الملاحظات الخاصة حول المذبحة .

من شهادات الناجين من المجزرة والمنشورة في مجلة شؤون فلسطينية نوفمبر — ديسمبر ١٩٨٢ عدد ١٣٢ ، ١٣٣ :

في مجمل حديث م . د فلسطيني بقال ٢٣ سنة يقيم في شاتيلا : «ومر شاب لبناني قال : الريس سمح لي أن أمر لأنني لبنان فقال أحد القتلة للآخر ولكنه مسلم فقتله ! !»

وهكذا يتضح أن المستهدف من المذبحة أبناء الجماهير المسلمة بكل أنتماءاتها الوطنية .

أ . ك ٧٧ سنة يقيم في شاتيلا

«في طريق عودتنا شاهدنا إمرأة تلطم وجهها وتقول «ذبحونا — قتلوا كل الشباب»

يلاحظ السماح للمرأة بالعبور لتنقل الأثر النفسي المستهدف

ق . ش فلسطيني بائع كاز يقيم في مخيم صابرا : «قالوا للمرأة إذا لم تأكلي (...) نقتل أولادك فقامت المرأة بأكل الوسخ أمامنا»

لاحظ كسر الكرامة والعزة الانسانية لدى الشخصية الاسلامية لقتل روح القيام الاسلامي .

ج . م لبنانية ٢٧ سنة ربة منزل من مخيم صابرا : «انا منكم وفيكم من لحمكم ودمكم .. أنا مسيحية من الأشرفية» ، حينها تركني رغم كونها زوجة مقاتل فلسطيني»

فمن المستهدف ؟ ! ! !

ع . م مصرية ٥٠ سنة عاملة تنظيفات بمستشفى عكا : «كانت مجزرة أطلقوا علينا الرصاص وبقيت نائمة دون أي حركة خوفا من أن يشاهدوني ولكن حضر واحد منهم وأخذ يلكزني بسلاحه حتى يتأكد من موتي ولكني بقيت كما أنا دون اية حركة فتركني وبعدها أغمي علي ولا أعرف كيف تم نقلي الى هنا»

مازالت دائرة المستهدفين تتسع وتتحدد

شاب فلسطيني ١٨ سنة حداد سيارات يقيم في مخيم صابرا : «فجأة حضرت فتاة مصابة بيدها تصرخ وتقول الكتائب قتلوا أمي وأخوتي كلهم وتركوني مصابة لاحكي ما جرى»

أيضا تحقيق الهدف النفسي

ف . س مصرية عاملة في مستشفى عزة وتقيم في صابرا أفادت بمقتل س . خ كردي من تركيا ١٨ سنة .

المحامي (ى) لبناني : «علمنا بمقتل ثلاثة عمال مصريين منهم مساعدي ويدعى عرابي»

ص . ع ٣٤ سنة مخيم صابرا : «قال لي المسلح ولكنك مسلم ثم أطلق الرصاص من مسدسه»

لا يحتاج الى تعليق : مصري — كردي — تركي — لبناني — فلسطيني . أي ولكنك مسلم

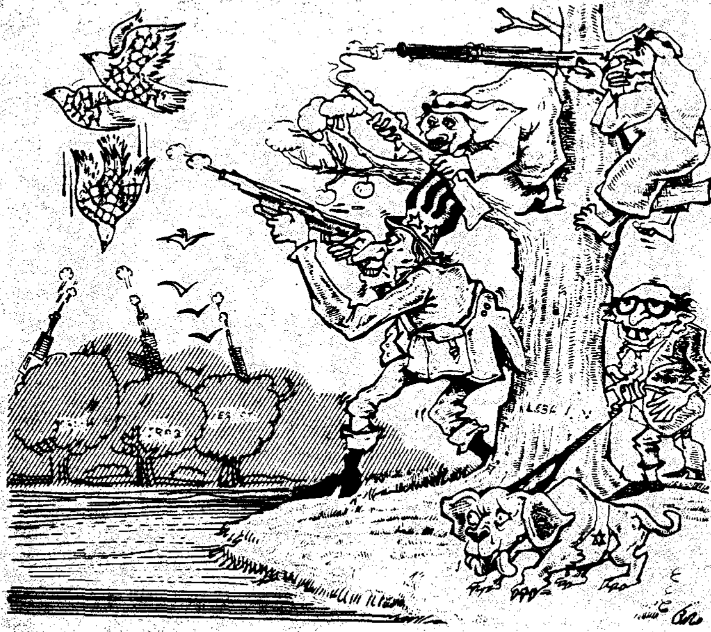
التحقيق في المذبحة : ولتحقيق أكبر قدر ممكن من أهداف المذبحة ولسحب أي تراكمات إيجابية قد تبدو في حس الجماهير فان قادة العدو قد سمحوا باقامة لجنة تحقيق وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

١ — القاء المسئولية على أشخاص بعينهم مثل شارون وكأن قرار المذبحة لم يؤخذ في إطار خطة عمل إسرائيلية أمريكية وبالتالي محاصرة وعي الجماهير في إنها تواجه الحضارة الغربية مجتمعة ضمن صراع عقائدي كامل .

٢ — تخفيف العبء النفسي عن أولئك الذين يزمعون توقيع صكوك صلح مع حكومة الكيان الصهيوني .

٣ — إيهام الجماهير في أخلاقية الحضارة الغربية وبالتالي دفعهم الى عدم التمسك بجذرية الصراع وإسلاميته وأن خلاص الجماهير يمكن تحقيقه عن طريق مخاطبة ضمير العالم الأوروبي والاسرائيلي وياله من هراء .

وهكذا قامت لجنة التحقيق وأستقال شارون من



خروج المقاتلين الفلسطينيين

منصب وزير الدفاع ونقل الى وزارة أخرى وعين بدلا منه من هو أشد حقداً على المسلمين وأشد عنصرية .

عملية نهب مركز الأبحاث الفلسطيني — ابادة الذاكرة :

إن عملية النهب تأخذ أهميتها من كونها عملية قامت بها القوات الأسرائيلية احدى مؤسسات دولة اسرائيل — طليعة الحضارة الغربية فكيف تقوم الحضارة الغربية بتدمير مركز الأبحاث ؟ ! ! !

إن قيام قوات العدو بهذا العمل لا يعني مخالفتها لقيم الحضارة الغربية الزائفة بل يعني إفلاس تلك الحضارة تماماً كما يعني في المقام الأول ان تلك الحضارة لا تتورع عن ارتكاب أي عمل همجي في سبيل دعم عملية النهب والتسلط التي تمارسها على الشعوب .

وقد كان العدو يتصور دائما أن المركز بما يحتويه إنما هو ذاكرة هامة في الصراع وهكذا لم يكن غريبا أن يستمر في محاولاته لتدمير المركز بالسيارات الملغومة وبالطرود الناسفة والتي لم يكتب لها النجاح وأخيرا تخريب المركز بعد دخول بيروت في ١٩٨٢/٩/١٥

الجماهير المسلمة لم تفقد بعد فاعليتها :

برغم أن تلك الظروف الصعبة جداً من خروج المنظمة من بيروت — خيانة الأنظمة العربية — دعم غربي غير عادي لاسرائيل دولة فاشية بقيادة آل الجميل في لبنان . إلا أن الجماهير هي وحدها صاحبة الأمل في التصدي للغزوة الصهيونية الصليبية .

وهكذا فان الجماهير مازالت تعمل ولقد ظهر من عملها الفعال حتى الآن :

١ — أغتيال وتصفية بشير الجميل رأس الحقد الصليبي ومجموعة كبيرة من أساطين حزب الكتائب

الماروني الصليبي المتآمر في عملية أروع ما تكون وفي ظروف امنية غاية في الاحكام مما يدل على أن قدرة الجماهير المسلمة بلا حدود ومما يدل على أن مدد الله يأتي للذين يحاولون.

واستمراراً في عملية سحب أي تراكم وعي لدى الجماهير المسلمة خارج وداخل الوطن المحتل روجت وكالات الأنباء والصحف في المنطقة أن إسرائيل هي المسؤلة عن أغتيال الجميل. إن إسرائيل ذاتها هي التي أوصلته الى سرة الرئاسة.

إن ذلك المؤشر يعني أن تقول تلك الأوعية الأعلامية المرتبطة بالغرب أن خلاص الجماهير لن يكون بأيديها بل على يد العدو أليس هذا هراء!!!

كما أن ذلك يسحب رصيد الثقة من الأمة في الجماهير المسلمة في داخل لبنان ويوهمها بأنها فقدت الفعالية.

٢ ـ عملية نسف مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في صور.

إن تلك العملية تعني ببساطة شديدة أن خط القسام ـ أحمد عبدالعزيز ـ سلامة ـ شهداء الكرامة ـ مازال يعمل ولن ينهار أبداً.

٣ ـ عمليات التصدي المستمر بالسلاح لقوات الاحتلال والعمليات الفدائية داخل خطوط العدو.

٤ ـ محاولة تدمير مقر المفاوضات اللبنانية الاسرائيلية في كريات شمونة

٥ ـ التظاهر والانتفاض ضد قوات الاحتلال.

إستدراج المقاومة نحو التسوية.

بعد إتمام عملية الترحيل من بيروت فقدت قيادة المقاومة كل الشروط الخاصة التي كانت تعطي شكل تناقضها مع الكيان الصهيوني أبعاداً خاصة.

وأصبح التلويح بقطعة أرض يقام عليها دولة فلسطينية إشارة لانهاء التناقض نهائيا.

وهكذا بدأت القوى الشيطانية عبر ما تمثله الحكومة السعودية المجادلة لدفع قيادة المنظمة نحو السقوط الرسمي في بؤرة التسوية.

ـ في مقابلة إذاعية وتلفزيونية وعلى لسان ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين قبل إنتقاله من أثينا الى تونس «إننا لا نرفض المقترحات الأمريكية، كما أننا لا ننتقدها. لكننا نقوم بدراستها» وفي إطار موقف اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من المشروع الأمريكي أعرب رئيس الدائرة السياسية للمنظمة فاروق القدومي (أبواللطف) عن أعتقاده بأن بيان الرئيس ريجان حول مستقبل الأراضي التي تحتلها إسرائيل يتضمن عناصر جديدة (السفير ١٩٨٢/٩/٣) وفي إطار مواقف الاطر الفلسطينية العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية من قمة فاس حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية المنعقد في دمشق يوم ١٩ ستمبر ـ أيلول عام ١٩٨٢ الموقف التالي «استعرض المجلس نتائج مؤتمر القمة العربي في فاس وما اسفر عنه من مقررات تؤكد عودة الاجماع ووحدة الصف العربي والتمسك بوحدة الكفاح الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية والتأكيد على حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بما فيها حقنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. تلك القرارات التي تنطلق في فهمنا لها من إلتزامنا بقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية. وثمن المجلس المجهود القيم الذي بذله الوفد الفلسطيني في المؤتمر للوصول الى النتائج التي وصل اليها ونجاح المؤتمر»

وهكذا حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية المنعقد في دمشق يوم ١٩ ستمبر ـ أيلول عام ١٩٨٢ الموقف التالي «أستعرض المجلس نتائج مؤتمر القمة العربي في فاس وما اسفر عنه من مقررات تؤكد عودة الاجماع ووحدة الصف العربي والتمسك بوحدة الكفاح الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية والتأكيد على حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بما فيها حقنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. تلك القدرات التي تنطلق في فهمنا لها من التزامنا بقرارات المجالس



الوطنية الفلسطينية وثمن المجلس المجهود القيم الذي بذله الوفد الفلسطيني في المؤتمر للوصول الى النتائج التي وصل اليها ونجاح المؤتمر»

وهكذا حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير موقفه بالموافقة على مقررات قمة فاس وهذه هي مقررات قمة فاس التي تتضمن أعترافا ضمنيا بدولة الكيان الصهيوني الغاصب.

«١ ـ انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي التي أحتلتها سنة ١٩٦٧

٢ ـ إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الاراضي العربية بعد عام ١٩٦٧

٣ ـ ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

٤ ـ تقرير حق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي وتعويض من لا يرغب في ذلك.

٥ ـ إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور

٦ ـ قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وهي القدس

٧ ـ يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

٨ ـ يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ»

مرحلة الجماهير المسلمة:

هذا هو عصر الجماهير المسلمة. إن الجماهير المسلمة تقف اليوم على اعتاب مرحلة خطيرة جدا فلم يبق في الساحة سواها في مواجهة الهجمة الصهيونية الامريكية الأستعمارية الصليبية السافرة لقد خرجت القوى الواحدة بعد الأخرى من حلبة الصراع وأنضمت في بعض الأحيان الى الكيان الصهيوني في مواجهة الجماهير لأن تلك القوى بين ليبرالية وإشتراكية ووطنية وقومية لا تملك

تناقضا جوهريا وحقيقيا مع الكيان الصهيوني .

وهكذا او بنهاية حرب ١٩٨٢ كانت القوى الفاعلة والمؤثر في الصراع كالأتي :

١ ـ الجماهير المسلمة وطليعتها الواعية مدعومة في صراعها بكل المستضعفين في الأرض .

٢ ـ الثورة الاسلامية في إيران

والطرفان السابقان في خندق واحد .

٣ ـ أنظمة الصلح والاستسلام

٤ ـ الكتائب والمليشيات المسيحية

٥ ـ الكيان الصهيوني

٦ ـ الغرب الأستعماري الأمريكي والأوروبي

والأربعة قوى الأخيرة في خندق واحد

وأثناء كتابة هذه الدراسة بدأ المؤتمر الوطني الفلسطيني في إجتماعاته وتدل المؤشرات الأولية الى أن المؤتمر لن يخرج عما سبق التوقع له ويمكننا أن نلاحظ على هامش المؤتمر مايلي :

١ ـ تشكيل وفد تضامن ومناصر مصري مع الشعب الفلسطيني وقد رحل هذا الوفد من القاهرة الى الجزائر ممثلا فيه كل الأطراف ماعدا طرف واحد هو الاتجاه الاسلامي الجماهيري ولقد تجاهل المسافرون والداعون الشيخ أحمد المحلاوي برغم ثقله الجماهيري الواسع جداً وتناقضه الواضح مع حكومة كامب ديفيد وقد حاول الشيخ أحمد المحلاوي أن يصحب وفد القاهرة فتم إبعاده عبر حركات بهلوانية من المشرفين على الوفد .

٢ ـ استقبال المؤتمر بعض ممثلي اليهود داخل فلسطين من حركة السلام الآن وغيرها من الحركات المشبوهة . أننا نفهم أن يستقبل المؤتمر مناصرين من أمريكا وأوروبا ومناصرين من اليهود خارج الأرض المحتلة أما أن يستقبل يهوداً من داخل الأرض المحتلة فهذا يشير الى أسقاط كل الأدوات الايديولوجية والتاريخية في الصراع والسؤال إن كان هؤلاء اليهود قد أدركوا الحق الفلسطيني فلماذا لم يرحلوا من فلسطين إن إستمرارا وجودهم على أرض فلسطين يعني مزيدا من التشريد الشعبي والآن .

لماذا لم يعد في مواجهة الغزوة الاستعمارية الصليبية الا الجماهير المسلمة

١ ـ لأن كل القوى الأخرى لاتملك تناقضا حقيقيا مع العدو (الغرب ـ اليهود)

٢ ـ إن تلك الجماهير هي الوحيدة التي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني وهي تُدرك :

أ ـ ان حضارتها مستهدفة

ب ـ حريتها مستهدفة

جـ ـ كينونتها ووجودها ذاته كأمة مسلمة ذاته مستهدف

د ـ لقمة عيشها ومستقبل أطفالها مستهدف

هـ ـ أفنائها هو الهدف النهائي

وكذلك تلك الجماهير تملك :

أ ـ أدراكا ووعيا تاريخيا عميقا بحقيقة الصراع

ب ـ أيديولوجية ربانية إسلامية بعينها على الفهم والعمل والتحليل والاستجابة

جـ ـ بعداً بشريا ضخما في مواجهة الهجمة يشكل عمقا استراتيجيا هائلا .

د ـ دعم مباشر وغير مباشر من الثورة الاسلامية في إيران وأهم ما تملك تلك الجماهير أولا وآخراً المدد الالهي العظيم لما مهمات الجماهير في هذه المرحلة الصعبة ؟

إن على الجماهير المسلمة أن تثرى انتمائها الاسلامي بمزيد من الايمان والوعي بالعبادة والنضال السياسي بالتأمل المستمر والدراسة المضنية .

على الجماهير المسلمة أن تعزز هياكلها التنظيمية القادرة على إستيعاب طاقاتها باتجاه المستقبل عملا على بناء حائط جماهيري صلب في مواجهة كل اشكال القمع من قبل الأنظمة العربية والكيان الصهيوني على الجماهير المسلمة ألا تثق الا بالمدد والعناية الالهية وبقدرتها على ترجمة هذا المدد الالهي بعد أن تهاوت كل القوى السياسية على إختلاف درجاتها من يمين ويسار الخ .

على الجماهير المسلمة أن تحقق تلاحماً لا ينفصم عن

الثورة الاسلامية في ايران وأن تتبنى مقولاتها وأن تسقط كل العوائق المفتعلة تجاه تقليل أطر التعاون والتلاحم والاندماج بينها مدركة أن تلك الثورة الاسلامية هي أيضا الوحيدة التي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني .

على الجماهير المسلمة أن تطرح شعار حرب التحرير الشعبية الاسلامية طويلة المدى في مواجهة رأس الحربة العربية على الجماهير المسلمة أن تنتزع حقها في الحريات السياسية وحقها في الحياة الكريمة من الأنظمة المستبدة مدركة أن هذه الانظمة هي في النهاية في خندق الكيان الصهيوني وتعمل لصالحه .

على الجماهير المسلمة أن تدرك أن الجماهير المسلمة في داخل الأرض المحتلة هي عصب حركتها فعليها أن تتمحور حولها باذلة لها كل عطاء ومقدمة لها كل عون وواقفة وراءها بصلابة لأن تلك الجماهير المسلمة في الأرض المحتلة مرشحة للقيام بأخطر دور في هذه المرحلة ولاسقاط الحقبة الاسرائيلية وعلوها واقساءها .

دور الجماهير المسلمة وطلائعها الواعية داخل الأرض المحتلة

إن جماهير الأرض المحتلة في وضعها الخاص الحالي تقع في الصف الأول من حركة الجماهير المسلمة ككل بل هي عصبها ومركزها وبما إنها جزء من حركة الأمة فهي تملك كل أدواتها في الصراع وكل خبراتها التاريخية ولكن بوجه خاص .

فان هي لـيد الارض المحتلة تملك بعدا آخر في الصراع وهو أنها في تماس مباشر مع الكيان الصهيوني وفي صدام يومي معه وبالتالي فهي أكثر قدرة على الفهم والادراك والوعي التاريخي وهي أكثر قدرة على الحركة في مواجهة عدو تتعامل معه يوميا .

كما أن تلك الجماهير قد وقع عليها بشكل خاص كل الالام والمحن والتجارب القاسية من تشريد وتجويع وحصار وغيرها وبالتالي فانها تملك تراكماتها الخاص في مواجهة ذلك الكيان إن تلك الجماهير تعمل مباشرة في مواجهة الاحتلال مع شروط أخرى ـ دون أن تقف في سبيلها حكومات وأنظمة تمنعها عن اداء دورها بالأساليب القمعية والتي تعاني منها الجماهير خارج الأرض المحتلة .

وبما إن العدو يدرك ما سبق من حيوية الجماهير فأنني وطبقا للتحليل السابق ودراسة طبيعة القوى وشروطها في الصراع وبدراسة الواقع التاريخ في اللحظة الحاضرة أحدد أن حركة القوى الشيطانية ستكون في إتجاه إقامه كيان فلسطيني مصطنع وهزيل ليصبح حاجزاً نهائيا بين الجماهير المسلمة وبين الكيان الصهيوني مع الهيمنة الاسرائيلية الكاملة عسكريا على ذلك الوطن الفلسطيني الهزيل وبالطبع مع الهيمنة العسكرية على كل ما يحيط بها إستمراراً لخطته في التوسع .

إن أخطر ما تواجهه الجماهير في الأرض المحتلة هو أقرار وتمرير ذلك الكيان الهزيل المزمع إقامته ليقوم بدلاً من الكيان الصهيوني بقمع الجماهير وإنهاء حركتها التاريخية الفذة

إن الله سبحانه قد قيض للجماهير المسلمة في الأرض المحتلة أطهر وأوعى شباب الأرض وعلى هذا الشباب المؤمن أن يعي ما سبق جيدا ويتحرك في الاطار الصحيح نحو إسقاط محاولة تصفية القضية الفلسطينية في إتجاه أقامة كيان هزيل يشجب تراكمات الوعي والحركة لدى جماهير الأمة ويمنعها من اداء مهمتها التاريخية .

إنني أحذر هذا الشباب الطاهر من الانزلاق الى قضايا جانبية والاهتمام بنتائج الغزوة الصهيونية على الوطن الاسلامي لا بجوهرها وأن التصدي الحقيقي لتلك النتائج باقي عبر التصدي البطولي للكيان الصهيوني وإسقاط مخطط التصفية إن الأمر شديد الخطورة ولو تم تمرير التسوية باتجاه إقامة كيان فلسطيني هزيل يفقد جماهير الأرض المحتلة أهم أسلحتها في مواجهتها الحضارية للعدو النازي ويفقد الجماهير المسلمة كلها شرطاً خطيراً من شروط صراعها الحضاري ضد الكيان الصهيوني وبالتالي وطبقا لهذا فليكن الهم اليومي خبزكم في الصباح والمساء صلاتكم في الفجر والعشاء وصيامكم في رمضان وغير رمضان في إتجاه إسقاط هذا المخطط وليس غيره

محمد علي أحمد

اى دور للإسلام في ظهور عالم جديد

احمد بن بلة

عندما طلبت «الطليعة الاسلامية» من الأخ الرئيس أحمد بن بله أن يشارك في الحوار «حول المشروع الاسلامي المعاصر» قدم لنا الدراسة التالية بمساهمة منه. ونحن إذ ندرك بوضوح وبدقة الدور الهام الذي يمثله بن بله في الساحة الاسلامية اليوم نعتز اعتزازاً كبيراً بأن يقف معنا هنا «في ساحة كل المسلمين» ذلك أن أحمد بن بله المناضل الصلب في سنوات حرب التحرير الجزائرية الطويلة الصعبة، والتنفيذي البارز في سنوات «الجمهورية» قد أضافت سنوات السجن الطويلة اليه بعداً هاماً وجوهرياً هو بعد المفكر المسلم، الشمولي النظرة والعميق في تحليله باتجاه الأصول لقضايا الاسلام والوطن الاسلامي المعاصرة. مرة أخرى.. باسم الواقفين على أرض الطليعة الاسلامية كتاباً وقراءً نرحب بأحمد بن بله مشاركاً بارزاً في الحوار ونرجو أن تستمر مساهماته معنا:

يقول الفلاسفة أننا نعيش في زمن «الشك المنهجي». وكثيرون يعتقدون بأن «الله قد مات» قتيل العلم والتكنولوجيا والعقلانية والتطور. الشك باعتباره منهجا معياريا لكل تأمل فلسفي ليس شيئا جديدا. الجديد هو الشك المنهجي. المتشائم عمدا. والمتولد عن غرق الايديولوجيات والمنظومات في الغرب. لكن هل تبرر مثل هذه المعاينة حكما أكثر تعميما يؤكد «موت الله» في غير الغرب وفي كل مكان؟

صحيح بمعنى من المعاني ان الثورة الصناعية التي ادت الى تركيز اقتصادي وسياسي متعاظمين دوما مضافين لانحرافاتهما. وميلاد عقلانية مبتذلة تشكل خلفية النظام كله. تعطي الافضلية للكمي وللعلوم الدقيقة زعما. كل ذلك جعل من المصنع كاتدرائية لدين جديد ومن الربح الها لكنيسة جديدة. لكن من يستطيع ان يزعم بأن هذا قد نجح تماما في الغرب نفسه؟ ظاهرة جان الثاني. وجماهير الشباب الغفيرة المتدافعة لتحيته. واشعاع بعض



أحمد بن بله

الكنائس في اميركا الوسطى والجنوبية التي انحازت للعدل، واكثر من ذلك ايضا، ما يجري وراء الستار الحديدي، في الجمهوريات الاسلامية او في بولاندة مثلا، سيما في اكرانيا وغيرها، الا تدحض مثل ذلك الحكم؟

من جهته عاش عالم الاسلام ومازال يعيش على هامش مثل هذا القلق، على هامش مثل أزمات الضمير هذه. كان الله في عالم الاسلام حاضرا دائما. انه حاضر في الافعال الكبرى كما في حركات وسكنات الحياة اليومية الاقل شأنا.

بينما الله اليوم غائب عن الاهتمامات الجوهرية للكثيرين في الغرب، فان العالم الاسلامي يحيا —وخاصة عند الشباب— فترة من الحماس الديني لا مثيل لها منذ عقود من السنين.

الانحطاط السياسي الذي اصاب العالم الاسلامي. ادى احيانا الى الحديث عن انحطاط الاسلام، وهذا الالتباس فظ. يدل على جهل كبير بالاسلام. لم يتأثر الاسلام جديا بانحطاطه السياسي. انه لم يتخل عن حدوده الجغرافية الموجودة أبان تدمير عصابات المغول لبغداد عاصمته السياسية والروحية.

تقييم الانحطاط السياسي نفسه ينبغي ان يعاد فيه النظر ويصحح جديا، فالخلافة العثمانية ظلت زمنا طويلا بدون نظير في قلب اوروبا نفسها حتى سنة ١٦٨٣. كما ينبغي ان يصحح على الصعيد الثقافي: فالحضارة المنغولية الباهرة لم تخرب الا في القرن الثامن عشر بسبب التغلغل الاستعماري الانجليزي. الا يعيد اسم أكبر الى الذاكرة ابهة حضارة مازال بريقها المعماري يثير العجب والاعجاب حتى اليوم؟

مثل هذه الأخطاء مصدرها الخطأ الشائع الذي يخلط، فيما يتعلق بالاسلام، بين الزمني والروحي. وحتى فيما يخص الانحطاط الزمني فمن الخطأ تأريخه بسقوط بغداد في ١٢٥٨. أي تثبيته انطلاقا من الانحطاط السياسي للاسلام العربي. من مساوئ مثل هذا الخطأ محو خمسة قرون من التاريخ.

ما كاد حكم خلفاء أكبر يتهاوى وما كاد تقدم العثمانيين يصد حتى ظهرت افكار جديدة في العالم العربي. فقد ساعد حكم محمد علي في مصر على بزوغ حركة الاصلاح الديني والثقافي والنهضة مع ظهور جمال الدين الافغاني. وستبلغ الموجة، عبر امواج متعاقبة، تخوم الاسلام لتحييه حتى ايامنا هذه ولتتركز في ايران مع الثورة الاسلامية. بينما الشباب في كل مكان من ارض الاسلام يتدفق على المساجد مطالبا باستعادة هذه المساجد لوظيفتها القديمة كخلية حية توجه حياة مجتمع يستضيء بنور الايمان بالله.

حركة اصلاحية اخرى تستمد تعاليمها من نفس مصدر حركة النهضة (ابن تيمية) كانت قد ظهرت قبل ذلك في قلب الجزيرة العربية نفسها. هذه الحركة قادها رجل بارز هو محمد بن عبدالوهاب، عرفت فيما بعد باسم الوهابية. لكن هذه الحركة بعد أن احيت كثيرا من الامال، بقت هامشية. بينما اخصب فكر جمال الدين

الافغاني اخصابا دائما العالم الاسلامي . هذه المساجد التي لا تفرغ وهذه المنارات المتكاثرة الشاخصة نحو السماء كصلاة خاشعة ، ندين بها اولا لتعاليم جمال الدين الافغاني .

جمال الدين هو فكر تجسد فعلا . لقد كان حقنة من الكظربين — الادرينالين — انعشت جسد الاسلام . لكن رسالة الاسلام وكذلك الهيبة الروحية والثقافية والسياسية لاسلام الانحطاط السياسي بقت عالقة في قلوب من آمن به ، لكي لا تفارقها ابدا . حتى عندما يكون هذا الايمان غير معاش بشكل كامل وغير مضطلع به على نحو صحيح .

سجلت سنة ١٤٩٢ الى جانب سقوط غرناطة حدثا هائلا مع بداية مغامرة لانظير لها بالنسبة للغرب لكن ايضا بداية انحراف سيقوى ، على مر السنين والقرون ، تطورا يجسده ويرمز اليه تصريح العالم الفرنسي لابلاس بخصوص الله ، مؤكدا انه لم تعد له به حاجة كافتراض في منظومته الفكرية .

كانت اوروبا عند اكتشاف امريكا تتحكم في ٩٪ من الكرة الأرضية . ولحظة انهيار الامبراطورية المغولية في الهند ، كانت تتحكم في ثلثها ، وباتت تتحكم في ثلثي الكرة الأرضية بعد مؤتمر برلين والاقتسام الاستعماري للكرة الأرضية حوالي ١٨٨١ . وعشية الحرب العالمية الاولى كانت القارة الاوروبية تسيطر على ٨٥٪ من أراضي القارات الخمس .

مع ميلاد هذا العام الجديد ظهر إله جديد : هو الرأسمالية التجارية التي اعقبتها الرأسمالية الصناعية التي ستولد منها الامبريالية . مثل هذا النظام لا يسمح بالوجود الدائم لالهين اثنين في نفس الوقت . وقد تم هذا على حساب الاله الاول . الاداة التي تغلبت عليه اسمها البارادیجم أو النموذج . هذه الشريحة المقسمة في الحقيقة مثل السلامي والتي تحفر وتثقب بدون هوادة كمثقب العظام . ادى كل هذا الى نجاحات مدوخة : نزل الانسان على سطح القمر ، تراجع المرض تراجعا مشهودا . اختفت الأوبئة أو كادت . انتشرت المعرفة بكثافة — على الأقل في نصف الكرة الغربي — وبغض النظر عن مضمونها — اما الحسنات المادية فمن ذا الذي يتجاسر على انكارها ؟ .

لكن بالفداحة الثمن الذي دفعه الانسان والطبيعة معا ، وبثمن أي تبذير سفيه ، لأن هذا الاله الجديد ينفث سم الانانية التي بلغت مدى لم تبلغه قط . ولأنه يقتل . وهو في نفس اللحظة التي يعلن فيها « لتتحقق ارادتي » .

لقد اعتاد تاريخ الانسانية على التضحيات الفردية والجماعية ، التي قدمت على مذبح الطموح و« المجد » . لكن هذا الاله سيغتال عرقا بكامله : العرق الأحمر . شمال وجنوب امريكا . وسيجعل البيض الوافدين من اوروبا يستأثرون بأرض الهنود الحمر . والذين استطاعوا منهم البقاء لم تكتب لهم الحياة الا بانطوائهم في تخوم غابات الامازون ، او بحشرهم في حظائرهم الخاصة التي ليس بامكانهم مغادرتها لاقرب مدينة لهم الا اذا كانوا حاملين لجوازات سفر داخل نفس الأرض التي كانت قديما « موطنهم » . من بقي حيا من هنود امريكا لا حق له في الحياة الا في سراديب موت جديدة وحتى هنا فهم مازالوا مطاردين . ولكي يقطعوا نسلهم ، هاهم يعقمونهم . وينشرون بينهم الادمان على الكحول . وفي نفس الوقت الذي يتعرض فيه هنود امريكا للابادة العرقية ، يتعرضون ايضا لاغتيال من نوع آخر اغتيال الروح — لاتمام اضخم عمل تدميري عرفه تاريخ البشر . ان التصفية الجسدية لهنود امريكا مازالت متواصلة ليومنا هذا . في بوليفيا ، يقتلون بالطعم المسموم كما لو كانوا ذئابا اوكلابا سائبة . عندما يأتون جوعى ليحوموا حول مزارع البيض . في البرازيل كما كشفت ذلك صحيفة « لوموند » ، ينظم البيض في غابات الامازون رحلات قنص لاصطياد الهنود الاميريكيين . ومنذ سنوات قليلة اغتيل هنود امبريكيون في كاراكاس . لماذا ؟ لان سوقها كان يعاني من ندرة الجلود المدبوغة .

ولادة هذا الاله الجديد وهذا العالم الجديد الموسومة باغتيال العرق الاحمر ، ترافقت ايضا مع أخذ زبدة عرق اخر : العرق الاسود بالنخاسة . المختلفة عن الرق المنزلي . المعروف في العالم الاسلامي والذي يريد بعض الغربيين ان يشبهه بها . حتى ولو كان الرق المنزلي نفسه مذلا للانسانية جمعاء . لم تنته النخاسة الا في القرن التاسع عشر . وليس ابدا لاسباب اخلاقية كما حاول بعضهم ايهامه — الدوافع الاخلاقية لم تلعب سوى دور جد ضئيل في صدور قرار منع النخاسة . لقد منعت النخاسة لان انجلترا لم تعد في حاجة اليها نظرا لتقدم اقتصادها . وكانت انجلترا تهدف من منع النخاسة مضايقة منافسيها المباشرين وخاصة الفرنسيين . الشجار المتعلق بالرقم الدقيق لاختطاف العبيد السود يبدو في الواقع مشاحنة سخيفة نظرا لخطورة الموضوع . هل بلغ ١٠٠ مليون انسان ، اذ ان عدد العبيد بلغ ١٠ ملايين باعتبار ان عبدا واحدا يحتفظ به النخاسون الغربيون مقابل ٩ عبيد يقتلون كما يؤكد بعض الباحثين ، أم ان الرقم كان اكثر تواضعا ؟ حتى اذا لم نحتفظ ، على افتراض المستحيل . الا برقم ١٠ ملايين الذي لا يستطيع احد انكاره لانه معترف به من الجميع . يكفي ان يتذكر الانسان لكي يقتنع بما كان بالامكان ان تكون افريقيا اليوم ، ان انجلترا لم يكن تعدادها الا ٣ ملايين نسمة يومئذ . وكان لابد من انتظار عصر نابليون لكي تصبح فرنسا بالخمسة والعشرين مليون ساكن اكثر بلدان اوروبا سكانا . اذ ان عدد سكانها كان مساويا لعدد باقي سكان اوروبا .

اضف الى ذلك ان المكسيك وحدها كانت تعد ٣٠ مليون ساكن عند قدوم الكورتيس الاسباني . وبعد ٣٠ عاما انخفض هذا الرقم الى مليون واحد فقط . هذا وحده كاف لبيان مدى المذبحة التي ارتكبت ضد العرقين الأحمر والاسود .

تقريبا في نفس الوقت الذي تقرر فيه الغاء الرق . كان الاستعمار يحل محله . والاستعمار ليس الا رقا مقنعا بالكاد . مرفوقا بنهب ومذبحة كونيتين . فالجزائر وحدها فقدت نصف سكانها خلال المقاومة التي قادها الامير عبدالقادر : ٣ ملايين ساكن . ولكي تستعيد استقلالها فقدت مليون ونصف مليون انسان . ومن ذا الذي يتجاسر على تقديم رقم اجمالي لجميع ضحايا المقاومة التي قادها المقراني وانتفاضتي اولاد الشيخ . وانتفاضة الظهرة وزاعتوتا ومحاولات انتفاضات اخرى محلية . ولابد ان نضيف الى كل هذا تلك الحشود البشرية الهائلة من الرجال والنساء والاطفال المحبوسة ١٨ ساعة يوميا بين جدران المصانع ، هذه الكنائس الجديدة ، تلك الحشود البشرية الهائلة باتت تقدم قربانا على مذبح امون الجديد : الربح .

كنتيجة طبيعية للتركيز الاقتصادي المتعاظم دوما من أجل ربح دائما اكثر ، ظهر تركيز سياسي ادى الى نهايته المنطقية : حربين عالميتين . الاولى كلفت الانسانية ٢٠ مليون قتيل ، والثانية ٥٠ مليون . ومن نتائج ذلك ايضا : معسكرات الجنود وغرف الغاز العنصرية ، والجولاج ، ومستشفيات الأمراض العقلية لمعارضي موسوليني وهتلر وستالين ، قنابل هيروشيما وناجازاكي العنصرية ومبيدات الاوراق التي اسقطت بالاف الاطنان في فيتنام ، والانهار والبحيرات والبحار الملوثة ، والهواء الملوث ايضا مع رواسبها الاجتماعية : العنف الاعمى والانانية .

ستقولون ان كل هذه الشرور قد خرجت من جرة باندورا خطأ . انها بالعكس حلقات في نفس السلسلة يشد بعضها بعضا ويبشر احدها بالاخر ، واولها متضمن سلفا في اخرها . من اول هندي امبريكي اغتيل الى مبيدات الاوراق في فيتنام ، يوجد في نفس المنطق المرعب الذي حدد انحرافا في مسيرة المصير البشري لم ينج من شره أحد .

التبذير ، هو بالتأكيد حطام هذه الأشياء . هذا التلوث الذي يعلن افلاس النموذج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة بكاملها . بهذا الاطار الضيق الذي يقدمه للانسان . بهذا الانقاص لكل ما يجعل حياته نوعية . بالهواء الذي يتنفسه . وبالماء الذي يشربه ويلعب

فيه . بالمعيار الذي يخنقه والذي يجعله كل اسبوع يبحث بحثا مسعورا عن فرار قصير الى الطبيعة نفسها التي يعمل جاهدا على تدميرها دون رحمة. لكن التبذير هو ايضا وخصوصا تبذير الانسان . فكل واحد يؤثر في الاخر كنوع من الفعل ورد الفعل .

هذا الجرم يطال الغرب والشرق معا .

اعرف بالتجربة ان ما قلته حتى الان يقلق الكثيرين في الغرب . وسيجد فيه بعضهم نبرات عنصرية ضد الغرب . لكن ذلك سيكون افتياتا على الكلمات . لا اريد ابدا ان اقيم محاكمة للغرب كله . الغرب الذي شيد الكاتدرائيات . غرب القديس اوجيستان والقديس توما الاقويني .

لقد انتج الغرب رجالا ونساء اجلاء . وانا اجدر من يتحدث عن ذلك . انا الذي كان علي ان اعد صداقاتي الوثيقة خلال حياة مضطربة . وقد وجدت دائما في الغرب مثل هذه الصداقات . وهذا ما لا انساه . ان الامر يتعلق فقط باصدار حكم على مرحلة تاريخية سيطر عليها الغرب لا اكثر ولا اقل . من الذي لا يرى ان حصيلة هذه المرحلة التاريخية —لا تاريخ الغرب كله— لها جوانب سلبية بل كارثية لشعوب كثيرة غير غربية . لكي لا نقول على اعراق باكملها —خاصة العرق الاحمر— بل انها في نهاية المطاف سلبية حتى بالنسبة للغرب نفسه . من الذي لا يرى ان هذه الحضارة التي ولدت منذ خمسة قرون تقريبا قائمة على قبر الهنود الحمر وان عظاما بشرية هائلة تملؤ الارض حول مائدة الوليمة المنصوبة ؟ لماذا لا يسمح بالخوض في هذه المسألة الخطيرة الا تلميحا لا تصريحا ؟

واقعة واحدة تكفي لفهم ما تقدم فهما افضل . منذ بعض الوقت بدأت وسائل الاعلام تتحدث عن الهنود الحمر ، عن الفظائع التي لحقتهم وما تزال تلحق بهم . صدرت كتب وصفت بجدية وموهبة مأساتهم ، موت روحهم ، ابادتهم كأقلية التي تم ابادتهم كنوع انساني التي بدأت منذ خمسة قرون والتي مازالت متواصلة حتى اليوم كما رأينا ذلك قبل قليل .

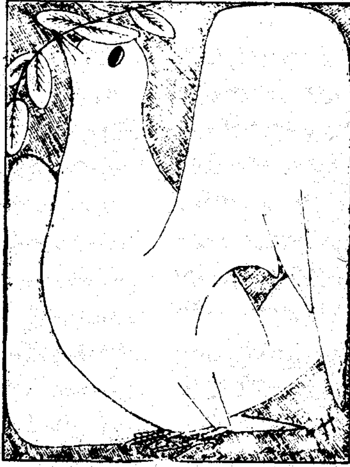
لكن من يندددون بهذه المأساة يكتفون ، كما في السيرك الروماني ، برفع الابهام نحو السماء لكي يطلب عدم الاجهاز على الضحية «كفى ، شيئا من الرحمة» هذا ما يقولونه للانسانية .

كم هو عدد الذين يطالبون بشيء غير الرحمة للهنود الحمر الاميريكيين ؟ المطالبة مثلا باسترداد الاميريكيين لممتلكاتهم ، وقبل كل شيء لأرضهم وثقافتهم . ولن يكون ذلك سوى وضع الأمور في نصابها الصحيح .

بالطبع ، هذا امر لا يعقل ، ضرب من الهذيان أليس كذلك ؟

هل بسبب «لانازا» (وكالة الفضاء الاميريكية) ومخزون القنابل النووية المودوعة في بطن الولايات المتحدة ، والقوة الهائلة لاسلحة الدمار التي تكدست فيها ؟ لكن ليس بسبب ذلك فقط : بل ايضا بسبب جيفرسون ، لنكولن ، جامعة بركلي ، ومعهد ماساشوش بل بسبب جون هاين وارتور ميللر ، او كل ذلك مجتمعا وهو ما يثير الابتسام ، نعم ، ابتسامة الرثاء عندما نستحضر موقفا آخر مختلفا تماما عن موقف الاسترحام او موقف الاصبع المرفوع الى السماء .

بالرغم من ان التاريخ قد برهن على ان لاشيء بنهائي وانه يعرف كيف ينتظر طويلا وطويلا جدا احيانا ، ليذكرنا بهذه الحقيقة . نادرا ما يعفو التاريخ عن الجرائم الكبرى . وابادة الهنود الاميريكيين ارتكبت ضد عرق بكامله . لكي لا نتحدث عن الجرائم التي ارتكبت ضد السود ، سكان المستعمرات ، واليهود والغجر . يكفي ان ينظر الانسان حوله وان يلقي نظرة ثاقبة على ما هو قيد الحياة . سيتضح عندئذ ان موت الهنود الاميريكيين طويل جدا . ورغم انهم ملاحقون حتى في قلب الادغال الامازونية ، فانهم يثيرون تقريبا في كل مكان ببطء ولكن بيقين ، موجة متصاعدة من الجنوب نحو الشمال . منذ الآن في خمس جمهوريات امبريكية وسطى وجنوبية يمثل الهنود الحمر اغلبية السكان .



التاريخ والطبيعة ويد الله تعرف الطريق الافضل لاصلاح مظالم جريمة من اكبر الجرائم في تاريخ البشر . هذا الاصلاح للجريمة هو اولا ديموغرافي . وجميع المكائد ، الفكرية والمادية . لوقف تزايد عدد سكان الهنود الحمر لم تجد نفعا . لكن اصلاح هذه الجريمة يأخذ احيانا شكلا سياسيا عندما لا يلجأ الى حمل السلاح كما في غواتيمالا . بالتأكيد «لانازا» حاضرة تصوب صواريخها نحو السماء . لكن اقول لمن تطمئنهم هذه الصواريخ المصوبة نحو السماء لا تنسوا المثل الاسيوي القائل : «عندما يشير الاصبع الى القمر . يرى الاحمق الاصبع» .

في مواجهة العلم . والتكنولوجيا . والعقلانية وتطور «الشك المنهجي» عند الفلاسفة الجدد . أليس الاسلام في هذا السياق ملجأ . محاولة للتعلق بالماضي امام الخضات الاجتماعية والثقافية التي لم يسبق لها نظير على وجه هذه الارض ؟ اسألوا انفسكم . اذا كان علينا ان نتحدث عن ملجأ . فانه ينطبق اكثر ما ينطبق على هذا الجزء من الشباب الغربي الحائر الباحث عن دين جديد ودخيل . وعن آلهة جديدة . الاسلام لا يرفض استخدام العقل . وهذا تحصيل حاصل . وانما هو يرفض استعمال العقلانية للعقل . وبالمناسبة ، فمن المفيد التذكير بان الكوجيتو «أنا افكر فأنا موجود» قد صاغها حرفيا تقريبا الغزالي . اي قبل ديكارت باكثر من خمسة قرون . وليس من المستبعد نظرا لشهرة الغزالي في اوروبا يومئذ ان يكون ديكارت قد اخذها عنه . لكن الغزالي استخدم الكوجيتو استخداما مختلفا قاده الى التصوف . اختياراتي ليس هذا مكانها . وهذا ما احب التأكيد عليه . رغم اني اكن احتراما كبيرا للغزالي الذي يعتبر احد افضل الادمغة في تاريخ البشر . فاني اقف بالاحرى الى صف ابن رشد في السجال بينه وبين الغزالي . واعتبر ان احد اسباب الانحطاط الاديولوجي للاسلام يعود الى ان مجهود ابن رشد لم تقع متابعته . وان العلم الاسلامي لن يأخذ نوبته ويلعب دوره . النوبة ستنتقل الى الغرب واولا بواسطة القديس توما الاقويني حتى في دحضه لافكار ابن رشد .

في حين ان الله قد طرد من الحياة في الغرب وحل آلهة آخرون محله . فان الغالبية العظمى من المسلمين لا تعترف الا بآله واحد : اله الاسلام . وهو نفس اله اهل الكتاب من اليهود والمسيحيين .

قدرة الاسلام على تعبئة الناس في اتجاه التقدم لا تحتاج الى برهان . فالتاريخ يشهد عليها بوضوح . من وجه

شعبنا نحو التحرر غير الاسلام؟ اليس افتراء على الكلمات ان ننسب للقومية معنى غير معناها الحقيقي عندنا؟ عندنا في الجزائر . في المغرب . في تونس . في مصر والسودان وفي كل مكان من دار الاسلام في مواجهة كل التحديات الخارجية وخاصة التحدي الاستعماري والامبريالي. وعندما كانت جميع قناعاتنا تهتز وجميع احلامنا تتلاشى . الم يكن آخر ملجأ لنا . الذي هو غالبا رمز النصر . هو الله اكبر . الذي يحيي الهمم الخامدة . ويزيل الخوف في القتال في حرب رمضان كما في طهران . في غزة نوفمبر ١٩٥٤ كما في زمان الامير عبدالقادر . من حرب الريف الى حرب الحاج عمر في افريقيا السوداء . من حرب المهدي في السودان الى حرب عمر المختار في ليبيا.

في كل مكان . عندما كنا نظن اننا قد اصبحنا نرزح تحت الاغلال . فان هذه الصيحة . هذه القذيفة النارية التي نرميها في وجه العسف والطغيان والحيوانية كانت دائما تتصاعد من صدورنا تمجيدا لله وتشريفا للانسان. والتقدم اليس هو قبل كل شئ حرية وكرامة؟

اما فيما يخص قدرة الاسلام على «التعبئة في منظور تقدمي» فلابد من ان نعرف مضمون هذا التقدم . ما هو التقدم المقصود؟ هل التقدم الذي يقود الى الاندهاش امام ادواة مجتمع الاستهلاك . التي هي قادرة على نقل الانسان الى القمر. لكنها في نفس الوقت تملؤ ثلث المستشفيات بضحايا الامراض العقلية؟ هل التقدم الذي يجعل رواد الفضاء يضربون الرقم القياسي في الدوران حول الارض مدة ١٠٠ يوم . لكنه يسجن ٧٠٪ من المسنين في ملاجئ العجائز . التي هي تمهيد للموت ويجعلهم يفضلون رفقة القطط والكلاب (بنسبة عائلة الى اثنين في فرنسا حيث تبلغ الميزانية السنوية لصيانة الكلاب وحدها حوالي ٤٠٠ مليار فرنك قديم)؟ هل التقدم الذي يحل رموز الجينة (عنصر الوراثة) ولكنه يقدم بسخاء ٣٠ مليون دولار للمنظمة العالمية للصحة لتمويل مشروع مكافحة الامراض الاستوائية التي تكبل مليار انسان وتجعل حياتهم جحيما؟ هل التقدم الذي لا ينفك يضاعف الهيئات الرسمية للمساعدة في نصف الكرة الشمالي لتعويض الخراب الذي لايعوض الذي احدثه في نصف الكرة الجنوبي . خراب هذا العنف الاعمى الذي يعود اليوم اليه والذي لا يستثني حتى الاطفال المختطفين او المقطعين اربا لقاء فدية؟ هل التقدم الذي يبدو انه سيعود بنا من جديد الى الطاعون الاسود ومشتقاته مثل المنظمات العنصرية في الولايات المتحدة والفاشية في ايطاليا . بعد جيلين بالكاد من اختفاء موسوليني . هتلر. ستالين . جوبلس . وبيريا؟ أليس المحيط الحيوي ونادي روما هما اللذان يرفضان هذا النوع من التقدم؟

علينا اذن ان نسوي مشكلة دلالة الكلمات قبل ان نقدم اجابة او بما هو ادق . بعض عناصر اجابة . لان الاجابة التي بامكانها تقديم حل مرض لجميع المسائل المرتبطة بجميع المشاكل الملحقة مازالت الانسانية لم تصل لحلها بعد . المسالة المتعلقة بقدرة او عدم قدرة الاسلام على «تشجيع» التعبئة في منظور التطور يحمل في ثناياه اتهاما اشد خطورة حتى ولو لم يكن الا موحى به . تهم لا القدرة على التعبئة بل القدرة على التطور نفسه. وبالامكان ترجمة هذا الاتهام كما يلي : اليس الاسلام مصابا بعجز عن تشجيع التطور بمفهومه الغربي؟ في الواقع هذا الامر لم يدرس بما فيه الكفاية في نظري . لقد بدأ الاسلام «ينكفئ» اذا تحدثنا مثل فوستر داليس في اللحظة نفسها الذي لاحت فيها معالم مرحلة تاريخية جديدة : مرحلة الرأسمالية التجارية التي تحولت فيما بعد الى رأسمالية صناعية.

العجز عن بعث التطور الرأسمالي الا يكون في الواقع عجزا عن التكيف مع نظام بعينه : هو الرأسمالية وكذلك مع النظام الآخر الذي يزعم نفي هذا الاخير : الماركسية؟ هذا المشكل يستأهل الطرح ومازالت بعض الدراسات المفيدة احيانا لم توفيه حقه.

من جديد ها هو الاسلام ينبض حياة . وغدت شعبيته على مسرح التاريخ مشهودة الآن حيث نضجت شروط جديدة تسمح للانسانية بان تتجاوز المرحلة

الرأسمالية في تعبيرها المعروف . الا يدل هذا من قبل الاسلام على سعي حثيث لتشجيع التطور شرط ان يكون هذا التطور قد اعد ليكون في خدمة الانسان اولا واخيرا؟ حتى اذا لم يصل بعد لشئ من ذلك . فان هذا الظمأ . هذا التوتر من اجل بلوغ هذا الهدف . الا يشجعان على الثقة فيه والاتكال عليه؟ ان ما يترآى شرا . حتى وان كان قد صيغ تلميحا . الا يكون هو الاحترام الذي تقدمه الرذيلة للفضيلة؟

ليس من الوارد هنا تقديم برنامج عمل دقيق يندرج ضمن مشروع حضارة جديدة . مثل هذا العمل مازال لم ينجز بعد . ولا بد لانجازه من جهد واجتهاد جماعي يبذلها المسلمون خاصة من أوتي منهم العلم الضروري لاعداد مثل هذا المشروع وهو مالا املك منه شيئا . لكن الى جانب هذا الجهد الفكري المطلوب . العمل مطلوب للتصحيح الضروري . بالتأكيد . لن يخرج مشروع هذه الحضارة من «غرفة التأمل» من مخبر . مثل بدلة جاهزة . بل يتكون شيئا فشيئا بلمسات متتالية ضمن عمل في الهواء الطلق والحر يرتبط بالتأمل والجهد الفكري ارتباطا جدليا.

ماهو المقصود عمليا؟ المقصود هو مشروع حضارة — اذن ذات بعد كوني — نعارض به الحضارة الرأسمالية ونظامها العالمي . مشروع ارقى نوعيا . يرمي الى علاقة نوعية بين الانسان والانسان وبين الانسان والطبيعة. ولن يكون هذا ممكنا الا اذا قضى هذا المشروع الحضاري قضاء مبرما على هذه الثمرة التي عفنت كل شئ في النظام الغربي : الا وهي استغلال الانسان للانسان واستغلال الاجهزة للانسان . واستغلال الانسان للانسان الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي في الغرب واضح كل الوضوح في الاشتراكية المطبقة في الدول الشرقية «اغتصاب املاك المغتصبين» في الاشتراكية الشرقية تمت لكن لا لصالح المنتجين المباشرين بل لحساب اكثر المغتصبين ضراوة : الا وهو الدولة.

العالم الاشتراكي الرسمي . وهو الوحيد الذي يهمنا هنا . لم يشكل بديلا مقنعا للعالم الرأسمالي.

لقد ولد هذا النظام منذ ٦٥ عاما وكان من المفروض ان يقضي على شرور الرأسمالية . لكن ها هو يعترف بهذه الشرور جميعا ويمارسها بدوره وفي مقدمتها استغلال الانسان للانسان . اقل ما يقال في هذا الصدد ان الاهداف التي اعلنها العالم الاشتراكي لم يتحقق منها شئ . والبروليتاريا التي كان من المفروض ان تصبح المشرفة على عمل بنائي هائل لم تبرر الآمال التي علقت عليها . مواجهة الرأسمالية التي قيل مرارا انها ضرورة لاغنى عنها لم تحدث كما نصت على ذلك العقيدة . والحرب الدائرة بين الرأسمالية والاشتراكية الرسمية والمفروض فيها ان تنتهي بموت الرأسمالية طالت ولم تسفر عن نتيجتها المرجوة بل الادهى من ذلك ان الضربات التي وجهها الخصم المحتضر بالقوة قد احدثت اضرارا اكثر مما كان متوقعا وتركت آثارا لا جدال في دلالتها : معسكرات الاعتقال الستالينية او الجولاج كما باتت تسمى . ولا جدال اليوم في ان الاشتراكية الرسمية تلاحق نفس اهداف النظام الرأسمالي : مجتمع الاستهلاك . وهذا الهدف كامن بالقوة في شعار الاشتراكية الرسمية : «اللحاق بالرأسمالية».

منذ متى كان على هذين القطارين . الرأسمالي والاشتراكي . ان يتصادما . هل قاما بانعطافة ستقودهما اليوم الى ان يسيرا متوازيين في نفس الاتجاه . الى نفس المحطة . الى نفس الثقافة . الى نفس الحضارة؟ هل منذ يالطا حيث تقاسم تشرشل . روزفلت وستالين اوروبا عشية هزيمة المانيا الهتلرية كما يؤكد البعض ام منذ تبني لينين سنة ١٩١٨ التيلورية . التي هي طريقة علمية جهنمية لتكثيف استغلال العمال وتحويلهم الى آلات صماء؟ لاشك ان هذا السبب الاخير حاسم . ولكن لاشك ان تصفية ستالين لسلطان جاليف . هذا التتري الذي كان صديقه ولكنه كان نصيرا للثورة في المستعمرات والممارسة تراعي الاسلامي قد اثرت كثيرا على افقاد الاشتراكية السوفياتية آخر اوهامها . لقد قدم

سلطان جاليف حياته ثمنا لجهله ان التعصب العرقي الروسي توأم للتعصب العرقي في الغرب الرأسمالي والاشتراكية الرسمية تلتقيان على ارضية واحدة وهدف واحد هو التواطؤ النشيط بين ثورة اكتوبر — وهو حدث غيرمعروف تقريبا — ومؤسس الاسرة البهلوانية في ايران. فقد شارك الحزب الشيوعي الايراني الذي سيسمي نفسه لاحقا توده مشاركة فعالة في تصفية جمهورية جيلان التي قامت في ايران منذ ١٩١٦ في اعقاب نضال مسلح ظافر واعلنت من تلقاء نفسها انها «جمهورية المجالس العمالية» (السوفيات) وطلبت من ثورة اكتوبر مساعدتها والاعتراف بها. لكن دون جدوى. عاملان مزعجان في جمهورية جيلان مناقضان للعقيدة: الذين صنعوها كانوا فلاحين وملهمها. ميرزا كان تلميذا لجمال الدين الافغاني. انها نفس العقيدة التي جعلت انجلز يقول «فتح الجزائر يعتبر حدثا هاما وملائما للتقدم والحضارة» وهي قناعة كان يشاركه فيها نسبيا ماركس بخصوص احتلال انجلترا للهند.

منذ تصفية جمهورية جيلان. التيلوريزم. اغتيال سلطان جاليف. صفقة يالطا حدث حدث آخر سرع الاتفاق بين الاهداف المشتركة للرأسمالية والاشتراكية الرسمية: هو تشابك المصالح الاقتصادية بين النظامين الذي تشجعه الشركات المتعددة الجنسية الغربية التي تتكاثر خلف «الستار الحديدي» وقد حيت موسكو هذه الظاهرة بلسان فصيح هو لسان وكالة نوفوستي التي كتبت بالحرف الواحد في فبراير ١٩٧٤ «ان منظورات عظيمة تدفع الشركات الاميركية الكبرى: جنرال الكتريك. جنرال موتورز. انترناشيونال بزنس ماشين الى توقيع عقود مع الاتحاد السوفياتي» وتمضي نوفوستي قائلة: «ان عمالقة ماليين مثل روكفلر وبنك اميركا وبنك الولايات المتحدة للتوريد والتصدير فتحت عندنا فروعا لها. حتى السادة اصحاب تشيز مانهاتن بنك يشعرون بالفخر لانهم اجروا مكاتبهم في العنوان التالي: ساحة كارل ماركس» وتختتم نوفوستي مقالتها قائلة: «ليس ذلك رمزيا على نحو رائع؟». فعلا انه لرمز رائع. والى قائمة هذه الشركات الاميركية يمكن ان نضيف: كروب. فيات. بيجو. رينو. الصفقات الحقيقية التي حققتها الشركات اليابانية المتعددة الجنسية في سيبيريا وايضا اكتساح نادي البحر الابيض المتوسط لبلدان اوروبا الشرقية.

هناك عامل مهم يدل على تشابك هذه المصالح بين الغرب والشرق هو اهمية ديون بلدان اوروبا الشرقية ازاء الغرب. من ١٩٧٥ الى ١٩٨٠ تضاعفت ديون البلدان الشرقية ثلاث مرات: من عشرين مليار دولار سنة ١٩٧٥ قفزت الى ٦٠ مليار دولار اليوم. اضف الى ذلك ان ثلاثين بالمئة من تجارة اوروبا الشرقية مع الخارج تجري مع الغرب وان اربعين بالمئة من واردات بولندا تأتي من الغرب وان بولندا وحدها تستأثر بثلاثين مليار دولار من هذه الديون اي نصف ديون البلدان الشرقية من الغرب. ومدفوعات هذه الديون تلتهم ٨٠٪ من عملاتها الصعبة. وهذا ما يبرهن على بؤس اقتصادها ويساهم بقوة في اثارة استياء الجماهير الشعبية فيها. ولاشك ان مثل هذا الانحطاط الاقتصادي قد كان وراء احداث بولندا الاخيرة. وهكذا فآثار الازمة الاقتصادية في الغرب هي نفسها في الشرق. بل انها في الشرق تبلغ احيانا مدى اوسع واعمق. وهذا ما جعل صحيفة اسبوعية فرنسية تكتب: «معظم بلدان الديموقراطيات الشعبية تعاني هذه السنة من الركود الاقتصادي: هذا الداء الذي قيل عنه مرارا انه داء رأسمالي. وبلدان الكتلة الاشتراكية عليها كجميع البلدان الاخرى ان تقود سفينتها بحذر شديد كما قال احد الخبراء: انه الانتقال المعروف من سيئ الى اسوأ».

التيلورية مرفوقة بهذه الشركات المتعددة الجنسية. التي ليس ريجان واندروبوف في نظرها سوى رئيسي قبيلة قصيري النظر ينسجان دون ان يرف لها جفن علاقات خانقة للعالم الثالث ليرسيا نظامها العالمي الذي يتعالى على الحدود القومية البالية: انه حلم قد اصبح جزئيا حقيقة: تلاقي نظامين يعملان في الارض بدقة تضاهي دقة ابولو

وسيوز في السماء. كما ان النظامين الغربي والشرقي متشابهان. كذلك الانسان هنا وهناك. فالانسان الشرقي توأم للانسان الغربي حتى في الملاعب. ساعد الرياضي البولندي كازاكيفيز بطل العالم في القفز العالي بالعصا المرفوع على نحو ثأري بعد ان نجح في قفزته امام مئة الف مشاهد روسي شوفيني يصفرون عليه. صورة مألوفة في ملاعب الغرب وملايين من مشاهدي التلفزة ليسوا على استعداد لنسيانها.

في النهاية الاشتراكية الرسمية والرأسمالية يظهران اكثر فاكثر كما هما في الواقع: ظاهرتان غير متناقضتين لنفس الرقعة الثقافية. لنفس الحضارة. لنفس الثقل. يجران وراءهما استغلال الانسان للانسان بكل عواقبه الاقتصادية. الاجتماعية. السياسية والثقافية. ويعطي الحزب الواحد في الاشتراكية الرسمية حدة اكثر لهذه العواقب الوخيمة.

تبقى مشاكل التكتيك الآلية. المصالح التي تقضي بأن لا نصدر نفس الحكم على الغرب والشرق. كثيرا ما قادت مقتضيات هذا التكتيك الى تفاهم قوى التقدم في العالم الاسلامي مع البلدان الشرقية التي تجد فيه هي ايضا مصلحتها. بيد ان التكتيك لا ينبغي له ابدا ان يصبح بديلا عن الاستراتيجية.

مطلوب من المسلمين ان يبتدعوا عالما جديدا حيث لامكان للاستغلال سواء في داخل نظامهم او في علاقاتهم مع الآخرين. الذين لا يشاطرونهم ايمانهم. عالما بدون ربا. وأنا استعير هذا التعبير من الثورة الاسلامية في ايران. عالما تلقى فيه المشاكل الراهنة حلها الصحيح: مشاكل التنمية. التي تجعل من الانسان همه الاول في شمولية حادة يتميز بها الاسلام. وتحافظ على الطبيعة — لان التنمية والمحافظة على البيئة وجهان لعملة واحدة — تنمية تحل مشكلة الجوع الذي يصبح اكثر فاكثر مشكلة كبرى نظرا للانفجار الديموغرافي في العالم الثالث الذي سيعد اكثر من ٥ مليارات نسمة على ٦.٥ في العالم سنة ٢٠٠٠. وتحل مشكلة العنصرية واخيرا مشكلة الامبريالية. كما تحل مشكلة الثقافة المرتبطة باختراع معرفة وعلم وتكنولوجيا تسهل تحقيق هذه الاهداف الكبرى. لقد قلنا كلمة عن العلم والتكنولوجيا بالنظر الى المقولات التي يجرانها وخاصة الاستغلال واشرنا الى انهما حلا اليوم محل سياسة الغزو الاستعماري القديمة لكن باسلحة جديدة اكثر خبثا لربطنا بعربة الامبريالية. اختراع عالم جديد. يعني اولا اختراع علم وتكنولوجيا جديدين. ملائمين لهذه الاهداف الجديدة. لان حضارة جديدة تتطلب ادوات جديدة. وهذه القناعة بدأت تظهر بقوة في العالم الثالث وهنا وهناك. تبذل بعض الجهود لسد هذا العجز. مثلا في ماليزيا نجح برنامج بحث علمي يخص استعمال المطاط الطبيعي في جعل شجرة المطاط تنافس المواد التركيبية التي تنتجها الشركات المتعددة الجنسية. وكذلك في البرازيل حيث نجح برنامج مهم يسمح باستعمال الكحول كمادة مضافة لوقود السيارات. والعالم المصري فاروق الباز. هذا الجيولوجي المشرف على تمرين رواد الفضاء الاميركيين. عبر في تصريح له بانه يتمنى ان يستخدم معرفته للعثور على المياه في مصر والعالم العربي بدلا من استخدامها في السباق الى غزو الفضاء الدائر بين العملاقين. والباكستاني عبدالسلام. الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء لعام ١٩٧٩، والذي يشرف جميع علماء العالم الثالث. وجه نداء للبلدان النامية — خاصة منها التي تمتلك موارد مالية مهمة من عائداتها النفطية — لجمع مليار دولار يوظف في تشجيع البحث العلمي في العالم الثالث من اجل «تشجيع تفتح المواهب في العالم الثالث كله» كما يقول هو نفسه. والجدير بالذكر ان عبدالسلام يشرف اليوم على المركز العلمي للفيزياء النظرية الذي أسسه في تريستا عام ١٩٦٤.

في الغرب نفسه تتكاثر الهيئات الخاصة المتخصصة في البحث عن تكنولوجيا اكثر ملائمة لمشاكل البلدان المختلفة. «الدليل البيبلوجرافي للادوات» من تأليف فالانتينا بوريمانس احصى ٢٠٠ من هذه الادوات في

العالم . ونعلم ان احداها قد شجعت مخترعا فرنسيا اخترع محركا بالفرقعة يستخدم الطاقة الشمسية وهو مستخدم الآن في موريطانيا كما اخبر بذلك فرانسوا كلوزي في كتابه : «خطر التقدم» .

هذه المشكلة الاساسية تتحكم في بقية المشاكل : لامجال للتنمية اذا لم نوضح اولا وقبل كل شئ المكونات الثقافية .

وفي هذا الصدد الايرانيون محقون عندما اغلقوا جامعاتهم وقرروا ان لا يعيدوا فتحها الا بعد اعداد برنامج تعليمي جديد قائم على احترام ثقافتهم واغنائها .

واخيرا لتكوين شروط ملائمة لتحقيق عمل كهذا في منتهى الاهمية مرصود لاعادة صياغة الاسلام خدمة لمتطلبات الحاضر ، فان مشكلة الديمقراطية تطرح نفسها كمشكلة جوهرية . التخطيط ، الارادية ، الليبرالية تكشف عجزها جميعا عن تشجيع تطور حقيقي . لانها جميعا نست ان تجعل الانسان نفسه ، الصانع الحقيقي لمستقبله ، المهتم اهتماما حقيقيا بعملية التنمية . فقط التسيير الذاتي المعمم على جميع القطاعات الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية هو القادر على تلبية هذا المطلب ، شرط ان لا تكون هناك قطعية مع السلطة السياسية . وان يسيطر المنتجون انفسهم على السلطة السياسية ، سلطة صنعها والاشراف عليها .

سأسميه شخصيا مجتمع المساواة الكاملة . وهو بنظري ارقى من المجتمع الاشتراكي لانه يقرأ اكثر منه حسابا للبعد الاجتماعي ويسمح بتوزيع افضل لفائض الانتاج . مثل هذا النظام لا يتوافق مع الحزب الواحد الذي يعقم مبادرات القاعدة ويدفع الى مستوى نادر مفهوم التفويض ليصبح في النهاية نقابة لاصحاب المصالح على صعيد المؤسسات ، وعلى صعيد الدولة ينبغي ان ينطلق اجتهادنا من فترة الخلفاء الراشدين التي يجب ان نضيف اليها خلافة عمر بن عبدالعزيز . لقد بدأ الانحراف منذ خلافة معاوية وشوه مفهوم الشوري فقد حل الظلم محل العدل . والخديعة محل الاخلاق ، كما ادخل معاوية بدعة توريث الخلافة التي استوردها من تقاليد بيزنطية . اما الخلفاء العباسيون فسيفضلون استنساخ التقاليد الفارسية . الانحراف الذي اصاب باكرا نظام الحكم في الاسلام لا ينبغي ان نجدده اليوم بالتبني المنهجي للنظام الغربي الراهن . من ذا الذي لا يرى نواقصه في الغرب نفسه ان مساوئ «اللانظام» عندما دفعت البعض منا الى تبني النظام الغربي بحرارة عملا بالمثل الشعبي : «اللي شاف الموت يرضى بالحمى» . علينا ان نرفض هذين الموقفين . لان ابتداع عالم جديد يتطلب ايضا ابتداع نظام جديد لتسيير الشؤون العامة . التسيير الذاتي المعمم المرتبط بحكم الجماهير لنفسها بنفسها هو الذي ينبغي ان يشكل قاعدة هذا النظام الجديد وان يقدم افضل شروط النجاح لانه يقيم لامركزية تجعل من كل قرية . من كل حي بل ومن كل عمارة مكانا لعمل متميز . من اجل تربية الثورة —وقد كتب باولو فريو بهذا الصدد اشياء صائبة— علينا ان نستخدم كلمة الشوري بدلا من التسيير الذاتي ، كلمة الجماعة بدلا من الجمعية الشعبية الريفية ... لماذا لا نعترف بان استخدام مصطلحات التسيير الذاتي . الجمعية الشعبية الريفية مع جماهيرنا الشعبية الحساسة اكثر لمصطلحات مرتبطة بذاكرتها الثقافية ، يعني استخدام لغة متصنعة وباطنية .

هناك مشكلة اخرى مرتبطة ارتباطا عضويا بالديموقراطية هي مشكلة الاقليات التي باتت تكتسب اهمية كبرى لا في العالم الاسلامي فقط بل في كل مكان تقريبا . اقليات لغوية او دينية تناضل من اجل توكيد اكثر كمالا واكثر فعلية لفوارقها الخاصة . تلبية هذه المطالب المشروعة في حد ذاتها وجه مهم لهذا العمل الشامل . وهو من الاهمية لدرجة انه يشكل شرطا اساسيا لنجاحه . لقد صرحنا لجريدة لوموند بكلمة تتعلق بالمسألة اللغوية البربرية في الجزائر . وهو يذكرنا بمشكل آخر اكثر خطورة مثل مشكل الاكراد او الدروز في العالم الاسلامي يطرحون مشكلا ملحا جدا . وكيف نلبي مطلب الحق في



الاختلافات للاقليات الاسلامية ونرفضه للاقليات غير الاسلامية . كيف نستطيع ان نتوصل لاغناء الانسان المسلم دون اغناء الانسان المسيحي او اليهودي العائش في العالم الاسلامي في الوقت نفسه؟

ينبغي ان نعير انتباها للتضييقات والتحفظات حول قدرة الاسلام على تشجيع تحقيق اعادة البناء . ولماذا ننكر ان مثل هذه التضييقات والتحفظات مصدرها اليسار وحتى اقصى اليسار . لماذا مثل هذا التحول؟

من الطبيعي ان يكون مفهوم ماركس عن الدولة مستلهما من تجربة كونونة باريس العابرة التي دارت من ١٨ مارس الى نهاية مايو ١٨٧١ لتصبح لها قيمة عملية وفعالة ابان ثورة اكتوبر ١٩١٧ . أي بعد ٤٦ عاما . بل مازالت لها قيمة الى يومنا هذا ، بينما مطلبنا نحن الذي تبرره تجربة مقنعة دامت حوالي ٤٠ عاما يصبح محل شك ، فقط لانه يعود الى ١٥ قرنا .

لماذا يكون لشعار الانتفاضة الذي اطلقه لينين في ١٩١٧ — وهو شعار اخذه من بيونار ايام الثورة الفرنسية الكبرى — قيمة مقنعة . بينما ترفض بعض اعمال الخلفاء الراشدين كرسالة عمر لأبي موسى الأشعري . أو وصية ابي بكر لاول جيش سيره لفتح الشام وعظام الامام علي ومجموعة هامة من الاعمال التي بامكانها ان تكون مدونة للحكم دون ان ننسى الخزان الهائل للسنة . لماذا يرفض كل هذا التراث الذي يشكل عناصر كفيلة بجعل الاسلام معاصرا لعصره . بمثابة ارساء لجهد فكري قائم على الاجتهاد الذي يفتح ابوابا نحو جرأة جديدة تدعو لتغيير الاتجاه وتجاوز الذرى نحو البحار البعيدة ، تحقيق هذه الاشياء جميعا هو الشرط الضروري لهذا التجديد الذي انتظرناه طويلا .

بالنسبة للمسلمين وبالنسبة لبعض من غير المسلمين يزداد عددهم باستمرار . هذه الحقبة الممتدة من الهجرة الى اغتيال علي ، تضاف اليها خلافة عمر بن عبدالعزيز . لامثيل لها منذ بداية تاريخ البشر . لم توجد قط ، مع اخذ النسبية بعين الاعتبار ، حكومة اكثر عدلا من حكومة ابي بكر ، عمر وعثمان (خلال السنوات الستة الاولى من خلافته) ، علي وعمر بن عبدالعزيز . بالنسبة لهؤلاء المسلمين . اذا وجد رجل عادل منذ آدم ، باستثناء الانبياء فهو عمر ولا يعرفون رجلا اكثر كمالا من علي .

لكن اكثر من ذلك . بالرغم من الثغرات الخطيرة احيانا عند الامويين ، العباسيين ، الفاطميين ، الموحدين ، المرابطين او المونغول ، الم تكن الحضارة التي انحدرت منهم هائلة بالقياس الى التراث الانساني؟

ان هذا وحده يبرر كل التبرير هدفنا المنشود . لكن هناك ما هو اكثر من ذلك . هناك هذا الاندفاع الذي يحرك عالما بكامله . اندفاع شبابنا الذي يطمح الى الارتباط مجددا وبشكل وثيق بما ظل يسكنه دوما . شبابنا الذي يطمح الى الخلق ، خلق عالم يستطيع شبابنا ان يشعروا فيه انهم غير غرباء ، حتى يتمكنوا من الاضطلاع بكامل دورهم كرجال ونساء اصبحوا في النهاية احرارا ليساعدوا الآخرين على ان يصبحوا احرارا بدورهم . انهم اولا هؤلاء الشباب الذين يشهدون هذه

الامكانية عندما تضيق عنهم رحاب المساجد فيصلون في الطريق العام صلاة الجمعة . انهم الـ ٧٠٪ من الحجاج السوريين الذين تقل اعمارهم عن ٢٥ عاما انه ايضا هذا الحج الذي غدا لقاء اسطوريا . انه افريقيا التي هي بصدد ان تصبح قارة الاسلام بغير منازع . انه ملايين الزنوج العائدين في بابل الحديثة . اعني الولايات المتحدة الاميريكية الذين وجدوا في «لا اله الا الله» ردا لاعتبارهم الذي يأباه المجتمع الاميركي الذي لا يعترف الا بالسلعة إلهاً . هذا الاسلام —اسلام الزنوج الاميريكيين— هو اسلام اجتماعي عماده السجناء ومتعاطي المخدرات . والبغايا الذين تسحقهم آلة جهنمية هي المجتمع الاميركي اللاانساني والذين يجدون مجددا سببا للحياة وكرامتهم كبشر . انهم هؤلاء الاسيويين الذين يقبلون اليوم افواجا وافواجا على الاسلام في ماليزيا . بيرمانيا . تايلاند . اليابان وحتى في كوريا . انه اسلام الصمت فيما وراء الستار الحديدي . في روسيا . في الصين . وغيرها الذي هو اليوم في اوج نهضته . انه هؤلاء النساء والرجال الذين يعتنقون الاسلام في نصف الكرة الشمالي مبرهنين بذلك على ان الاسلام ليس دين الصحراء فقط . ويبلغ عددهم احيانا مبلغا هاما بحيث انهم يطلبون بالاعتراف بهم كأقلية .

ان ما نطمح اليه ليس فقط هدفا منشودا حتى ولو كان حالا . انه ليس قناعة وحسب مازالت تحتاج الى الترجمة العملية . بل ان هناك بعض دلائل ملموسة تبشر بظهور عمل يجسد مالا يزال حتى الآن مجرد افتراض . ولكنها تدعونا لبذل جهد اكثر كثافة واكثر تواصلا . انه مصارف ايران التي تقدم قروضا بدون فوائد . انه المصارف الاسلامية التي رأس مالها مليارا دينار اسلامي التي تقدم هي ايضا قروضا بدون فوائد وهو ما صفق له ٤٠٠ خبير مالي في اجتماع دوبروفينك بيوغوسلافيا في مايو ١٩٨٠ . ثلث دور العاصمة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي ربع الاراضي التونسية قبل الاستعمار وربع ثروات دار الاسلام قبل حقبة الغزو الاوروبي كانت حبسا . هذه المؤشرات . هذه العلامات المبشرة بميلاد عالم جديد لا يمثل الا جهدا ضئيلا بالمقارنة مع ما يجب ان يبذل من جهود . صورة جد متواضعة لرؤيا الاسلام المجددة . لكنها تعبر بالرغم من جميع حدودها عن واقع خاص في العالم من استعداد لتقبل العدل في العلاقات بين البلدان والشعوب من الصعب ان نجدها خارج العالم الاسلامي اليوم .

لكن يجب تجاوز هذه الجهود الجزئية الى عمل اوسع نطاقا واعمق . والمسلمون يمتلكون اليوم وسائل مثل هذا العمل : بالايمان الذي يطبع كل حياتهم لكن ايضا بفضل مصادر الطاقة والاموال الطائلة (٣٦٠) مليار دولار المودعة في المصارف الغربية .

ينبغي ان نجد لاستخدام البترول والغاز حلا يشجع هذه الاهداف : القضاء على الاستغلال في العلاقات بين الشعوب وداخل كل شعب وعلى عمل الالة الهائلة التي وضعتها الرأسمالية في خدمة مصالحها الخاصة تخضع للبترول والغاز وتسبب في النهاية اضرارا رهيبة للطبيعة ومنها التلوث الذي بدأت نتائجه الوخيمة على توازن البيئة وصحة الانسان تظهر في العالم الثالث ايضا . ان الكرة الارضية ملك لنا والمحافظة عليها يهمنا ايضا بقدر ما يهم البلدان الصناعية . لابد من ادخال تضييقات قاسية على الاستخدام المجنون للطاقة التي مصدرها الوقود . ان هذه التضييقات تشكل رافعة قوية تتحكم في نجاح تغيير الاتجاه الذي اشرنا اليه سابقا . ان المسلمين وهم قوة في صلب منظمة الدول المصدرة للنفط . تمتلك مهلة ٢٠ عاما تقريبا لتقوم بعملية التغيير : المهلة التي يتطلبها توفير الطاقة البديلة . لكن بالنسبة لبعض البلدان النفطية هذه المهلة تختزل الى النصف فالجزائر مثلا ستجد نفسها مرغمة على استيراد البترول ابتداء من ١٩٩٠ بل ربما قبل ذلك . اكثر من ذلك امتلاك الغاز والبترول يعني بالقوة امتلاك البروتيين اذ انه بات ممكنا استخلاصها من هاتين المادتين كما يفعل ذلك حاليا مصنع لافيزا بفرنسا وغيرها وامتلاك الغاز والنفط يجب ان يعني ايضا وخصوصا امكانية جعل



الجوع أقل فتكا في العالم . والاسهام الجاد في تحسين نوعية حياة ملايين الناس . والبروتيين غذاء نبيل . يقول الاخصائيون ان الاستخدام المتوازن خلال السنوات الخمس او الست الاولى لغذاء الطفل يتحكم في ذكاء الفرد بل وفي حاسته الجمالية . هذه الطاقة التي «تخزن» بالباع والذراع في بطون الالات الحديثة . هي في الواقع ذريعة للحياة لا مثيل لها تبذر هكذا تبذيرا . وهو مالن تغفره لنا الاجيال القادمة في عالم لا يفتأ يتضور جوعا تمثل الطاقة منا من السماء لابد ان نستخدمها افضل استخدام . ان مهلة العشرين عاما — ١٠ فقط للجزائر التي تصون حظوظنا لارساء قواعد عالم اقل اغترابا لنا وللاخرين . ان هذا التغيير الضروري للاتجاه يجب ان نترجمه في مجال الزراعة .

انفتاح اقتصاديات العالم الاسلامي والعالم الثالث عموما على البلدان الصناعية ولمصلحتها وتوجيه هذه الاقتصاديات لتلبية حاجات السوق الخارجية . ازداد تفاقما باختيار تصنيع يعتمد على المصانع الجاهزة واختلال التوازن الاجتماعي . الاقتصادي الناتج عنها كانت ضحيته الاساسية في كل مكان الزراعة . وعواقب ذلك وخيمة على عموم العالم الثالث وبصورة أشد على العالم العربي الذي سيبلغ عجزه من المواد الغذائية سنة ٢٠٠٠ الى ١٠ مليارات دولار .

بيد انه بفضل الاحتياطي المالي الهائل الذي يمثله النيل . والرافدين . ... لكي لا نذكر الا الأهم . وبفضل الاحتياطي المالي غير المحدود والموارد التي يمكن ان تقدمها طاقة اخرى —وفيرة في الارض العربية— أعني الطاقة الشمسية . وبفضل الامكانيات التي يقدمها السودان . العراق . سوريا وشمال افريقيا . فان الاراضي البور الشاسعة يمكن ان تصبح اراضي زراعية . وهناك ايضا احتياطي لا يستهان به في بلاد اسلامية اخرى مثل الهندوس . النيجر . نهر السنغال . تقدم لنا حقلا مترامي الاطراف لهذا العمل الواسع النطاق الذي نرجو انجازه .

الثلاثمائة وستون مليار دولار عربي المودعة في المصارف الغربية تضاف اليها . الودائع الايرانية والنيجيرية والاندونيسية . يمكن ان تشكل رافعة قوية للمضي قدما في انجاز هذا العمل الواسع النطاق . لكن هناك ايضا اعمال اخرى يمكن انجازها لصالح العالم الثالث وخاصة لصالح افريقيا . هذه القارة التي كابدت اكثر من غيرها اهوال نيل الاستعمار . في الساحل الافريقي مثلا لوقف الجوع وايضا للقيام بعمل متعدد الاشكال لانجاز مشاريع مختلفة درستها الهيئات التابعة للامم المتحدة والبلدان المعنية نفسها . تحتل مكافحة التصحير (زحف الصحاري على الاراضي الزراعية) مكانة مرموقة في هذه المشاريع التي ينبغي ان ترتبط بمكافحة جفاف بحيرة تشاد الوخيم العواقب على المنطقة

كلها. قدمت البلدان العربية بعض المساعدات لبعض هذه البرامج. لكن المساعدة ينبغي ان تكون اكثر كثافة واكثر سرعة فعلا مجدية.

— عمل من اجل تزويد افريقيا بالماء الصالح للشرب، وهو برنامج درس وحددت تكاليفه ولكنه لم ينجز حتى الآن. لقد قبلت البلدان المعنية ان تقدم حصتها من النفقات، لكن المساعدات الخارجية التي تعطي باقي المبلغ الاجمالي للبرنامج لم تصل بعد. رغم ان هذا عمل اساسي لمكافحة الامراض الاستوائية. وكما قال مدير منظمة الصحة العالمية، فان حنفية تقام في هذه المنطقة اهم من سرير في مستشفى.

عمل من اجل مكافحة الامراض الاستوائية التي تحاول منظمة الصحة العالمية وقفها. لكن مع الاسف، فان المساعدات المقدمة مازالت تدعو للسخرية بالقياس الى ضخامة العمل المطلوب، في حين ان هذه الامراض تفتك حسب احصائيات ١٩٨١ بمليارين من الناس المصابين بالامراض الطفيلية في العالم الثالث. وكثيرا وغالبا ما يكون الواحد منهم مصابا بمرضين او ثلاثة وحتى اربعة من هذه الامراض الاستوائية. ولا تملك منظمة الصحة العالمية لتحقيق هذا البرنامج الا ٢٠ مليون دولار سنويا، ما يعادل سعر طائرة مقاتلة متوسطة.

البحوث العلمية التي تشرف عليها شركات الادوية المتعددة الجنسية موجهة اساسا لدراسة امراض النصف الشمالي من الكرة الارضية المتخم: امراض القلب والشرايين، السرطان، شلل الاطفال الخ... وبالنسبة اليهم فان الامراض الاستوائية هي امراض جد بعيدة، امراض عالم اخر. ان بحوثا طبية مدعومة بقروض هامة بامكانها الحصول على نتائج طيبة. هذه الامراض تنتمي عادة الى نفس الفصيلة والنتائج التي يتم الحصول عليها بالنسبة لمرض منها تصبح لها اثار مؤكدة على عدة امراض اخرى.

وهكذا فان جموعا هائلة من البشر، نساء ورجالا شبابا وشيبا، يمكن ان يعادوا الى نشوطهم ككائنات انسانية. وبالتالي فان الرقعة الشاسعة من الارض التي تستوطنها هذه الامراض يصبح بالامكان استثمارها في تربية الحيوانات والزراعة. اذا كان هناك من عمل يراد به تحسين نوعية الحياة، فهو هذا العمل.

وثمة اعمال اخرى يمكن انجازها كالمساعدة لصالح نافورات الري في الهند، في بنغلادش، وفي الباكستان وعموما في اسيا وامريكا الوسطى والجنوبية، وانتاج البروتيين من الوقود الذي يساهم مساهمة فعالة في مكافحة الجوع وتوفير غذاء اكثر توازنا. وقد اشرنا سابقا الى اهميته.

وهناك مجال آخر حيوي: مشكلة المحافظة على ثقافة الشعوب التي ينبغي تشجيعها واغناؤها، وهي مشكلة تتطلب عناية خاصة. ولابد من رصد مساعدة خاصة بهذا الصدد لثقافة الهنود الحمر الاميريكيين.

هناك اعمال اخرى مازالت بحاجة الى احصاء كامل لهذا البرنامج الذي رسمنا هنا بعضا من ملامحه. مثل هذه الاعمال بامكانها ان تسهل ظهور —عن حق وصدق هذه المرة— نظام عالمي جديد، شرط ان تكون المساعدات المقدمة بدون ربا كما يوجب ذلك الاسلام. وهو ما يقوم به حاليا، ولكن على نطاق ضيق جدا، المصرف الاسلامي الذي شكلته البلدان الاسلامية. بل ان هذه المساعدات يجب في الحقيقة ان تقدم على انها هدايا لا على انها قروض حتى ولو كانت بدون فوائد.

لم نشر الا قليلا الى ان الحصة الأهم من البترول والغاز موجودة في البلاد الاسلامية. وذلك اذا اضفنا الى الاقطار العربية: ايران، نيجيريا، اندونيسيا، ماليزيا، وايضا —وان كان ذلك يعود الى اشكالية مختلفة— الاتحاد السوفياتي والصين اذ ان البترول فيها يوجد في المناطق الاسلامية. هذه الطاقة يجب ان تصبح طاقة نوعية لكي تتم العمل الصالح للطاقة الاخرى— الروحية— التي انطلقت من الجزيرة العربية لتخصب العالم. لنتذكر ان انبياء الاديان الثلاثة كانوا يتكلمون لغة قريبة من الارامية— الاصل الذي تفرعت عنه العربية—

الم يقل المسيح للعازر: «قم شهدا» اي قم فاشهد؟ او لم يقل ايضا: «الا هي لم سبتني؟».

بينما تتدفق البترودولارات العربية والاسلامية كالموج على الغرب لتساعد الرأسمالية على اعمالها الشريرة وعلى تكبيلنا اكثر باغلالها الرهيبة. في حين ان الطريق السليم لهذه البترودولارات هو ان تتجه من الشمال الى الجنوب.

الحوار بين الشمال والجنوب انتهى الى الاخفاق. انه لم يكن حوارا بل مونولوجا. ان نقل امكانياتنا المالية من الشمال الى الجنوب هو المطلوب من العالم الاسلامي ومطلوب انجاز ذلك بأقصى سرعة. بالتوازي مع هذا النقل للامكانيات من الغرب الى العالم الثالث. على العالم الاسلامي ان يقوم بعملية تغيير هائلة داخله هو نفسه. على المسلمين ان يطلقوا كل لون من الوان التعصب، كل شكل من اشكال العنصرية التي هي الداء الاكثر انتشارا والافضل اقتساما بين الناس، حتى ولو كانت زهرة التسامح الجميلة كثيرا ما نورت وعطرت ارض الاسلام. على المسلمين ان يقتنعوا بان عالم ايديولوجيا واحدة وفلسفة واحدة ودين واحد، قد مضى وانقضى. وان افضل العوالم في نهاية المطاف هو عالم التنوع الذي ينمي احترام الفوارق لدى الاخرين. عندئذ سيغدو الاسلام من جديد شمولية نابضة، موعدا خياليا. وطريق نور: «كل انسان عارف، كما يقول الكسيس كاريل. يستطيع عندما يريد ان يأخذ الطريق الذي يقوده الى البلد الهادئ بعيدا عن العقيدة والصور وقرقعة الكلمات. وعندئذ يأخذ النور في الانسياب، مثل نبع رائق وسط الصمت».

الاسلام يساعد بروعة على سلوك مثل هذا السبيل اكثر من كونه ملجأ يمثل الاسلام مناخا. وهو في مواجهة الاذى المحيط، مناخ صحي حيث تجد نساء ورجال من شتى الاعمار وباعداد متزايدة دوما طمأنينتهم

وعلى نحو ملموس اكثر بالنسبة للاسلام. نقول: كلما عبأ الاسلام ابناءه في خدمة القضايا العادلة، ضد العنصرية، ضد الامبريالية، وبصورة اعم في خدمة جميع المناضلين من اجل المحافظة على سلامتهم وعلى كامل نشوطهم كرجال ونساء، كان اهتمامه نوعيا وحاسما في عملية ظهور عالم افضل.

من اجل النوع لا من اجل الكم، ينبغي ان يوظف المسلمون في كل زمان ومكان، في الانسان لكي يجعلوه دائما افضل. بنوعية العلاقات التي يقيمونها فيما بينهم وبين الاخرين في كل مكان. وبذلك يعيدون من جديد للاسلام دور الاخصاب الذي يبدو انه كان منذ البداية وجهته الاولى.

الانشقاق والخروج في الساحة الاسلامية

من أسئلة كبير الروم عن الرسول الاعظم ﷺ .. هل يرتد عنه أحد ممن آمن به؟ .. لا ..

إنَّ إجابة السؤال بهذه الصورة تحثنا على أن نبحث عن جوهر هذه الظاهرة وبدراسة إجتماعية للحركة الاسلامية الأولى نرى أنه من أهم الخصائص في هذا المجال وضوحاً التي تتميز بها .. وهي خصائص أخلاقية بين العاملين للاسلام.

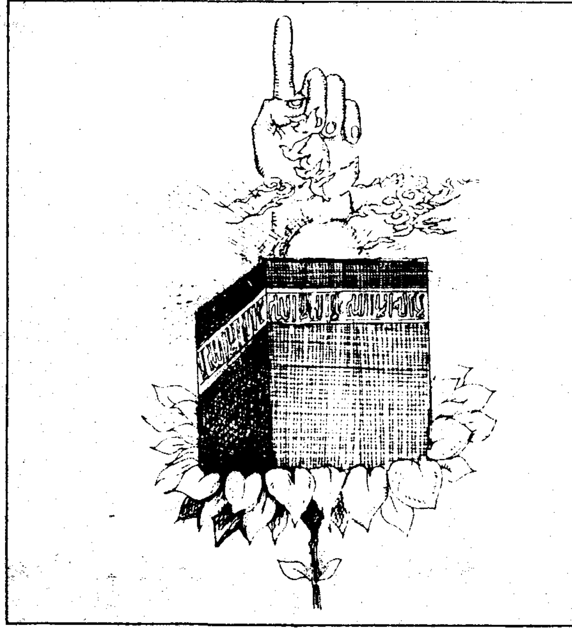
١ ــ روح التناصح: وهذه ليست نزعة فردية تمليها بعض الاخلاق المنبثقة عن طباع تنسجم مع هذا الدور بل هي سنة واجبة وكما وضح رسول الله ﷺ «الدين النصيحة».. وبالنصيحة الموجهة الهادفة الواعية كانت كل سلبيات المجتمع الخطيرة تصحح وبسرعة... وهذه الروح كانت تنبثق من الحب والحرص والاشفاق على المسيئ أو المخطئ وكذلك من المحافظة على المشاعر الانسانية وكانت الوسيلة الوحيدة لابلاغها هي المعرفة الحكيمة المتجردة لمرضاة الله العلي العظيم.

٢ ــ الشورى: «وشاورهم في الأمر» «وأمرهم شورى بينهم» وهي تنطلق من روح القرآن ومن سنن الله في هذا الكائن البشري الضعيف القوي.. فبالرغم من كون الرسول ﷺ معصوماً وبالرغم من تنزل الوحي باستمرار على شخص الرسول مرشداً له ومبلغاً له إلا أن هذا كله لم يحل دون كون الشورى في أمور حركة الاسلام من الخصائص الثابتة التي ينعم بها كل فرد من أفراد هذه الجماعة الاسلامية .. لأنه يجب على كل فرد أن يشعر بأنه متوجه إلى الله أولا وباقتناع بصحة التوجه ثانياً.

٣ ــ سعة أفق القيادة: «لوكنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» وهنا نلاحظ ان الرسول الاعظم ﷺ وهو أحرص الناس كافة على تطبيق الاسلام كان بواسع صدره وحلمه يستوعب أخطاء صحابته الكرام ويردهم ردّاً جميلاً الى جادة السبيل.. ويعطي لاجتهاداتهم صواباً أو خطأً أهمية في البحث والتحليل والرد عليها بود وحب.

هذه النقاط الثلاث أرى أنها من أهم ماكان يحفظ هذه اللحمة الاسلامية بالاضافة الى وضوح الرؤية فيما يتعلق بالأهداف والوسائل والواقع .. والتركيز على هذه الخصائص الثلاث إنما هو لأنها أرضية كل خير..

وقد أكون فعالياً بعض الشيئ لو قلت أننا في محاولة لسحب هذه الخصائص على التنظيمات الاسلامية من أقصى «التخلف» الى أقصى «الثورية» نرى أنَّ هذه التنظيمات تعاني أزمة



حقيقية.

ولكن الذي يمكن قوله بأكثر دقة أننا لو وجدنا (النصح) شعاراً مطبقاً داخل الدائرة فاننا لن نجد الشورى بمعناها الشامل والدقيق.. حتى وإن وجدت بالحاح «روح النقاش» لا «الشورى» فسنفقد سعة حلم القيادة وتقبلها لاجتهادات القاعدة مما يجعل القاعدة باستمرار مغيبة مشلولة الارادة عاطلة التفكير كما نرى في ليس قليل من التنظيمات الاسلامية وهذه المأساة يدرك آلامها من عاشها وهم كثيرون.

وحتى لا يكون حديثنا هذا مجرد طرح مشكلة.. فعند ملاحظة الخلل الذي نرى صوره الثلاثة التي تعتبر من أهم نتائج فقدان روح التناصح والشورى الحقيقية وسعة أفق القيادة أو أحدها ندرك خطورة هذه المسألة.. والصور الثلاثة لهذا الخلل هي:

١ ــ الانشقاق: وذلك بتجمع مجموعة من الشباب المقموعين فكرياً داخل الدائرة أو الذين لا يجدوا لتساؤلاتهم إجابات حقيقية أو الذين يجدوا أنهم ينفذون مخططاً فوقياً.

٢ ــ الخروج أو الانفصال: أفراد طيبون أطهار لا يستطيعون أن يقاوموا الانحراف داخل التنظيم أولا يستطيعون تبليغ أفكارهم في جو إحتوائي يصادر حرية الرأي الآخر.. يخرجون فرادى محطمين.

٣ ــ الاستزلام: وهو أن تجد كل مجموعة من الأفراد نفسها مجبرة للتناقش مع أحد الأقطاب وذلك لاستيعابه أو محاولة تمثيل دور

الاستيعاب للمشاكل والهموم.. مشكلين بذلك تشرذمات مستزلة لبعض الأفراد من القيادة التي لا يحكمها منهج واضح المعالم مما يشكل خطورة حقيقية على مستقبل التنظيم والجماعة.

هذه الامراض موجودة داخل الكثير من التنظيمات الاسلامية فعلينا أن لا نحاول ذر الرماد في الأعين بمكابرتنا.. إن الانشقاقات تترى والخروج يومي والاستزلام واضح بكل أشكاله.

ومع هذا فالشعور قوي نحو الصعود لوجه الله الكريم من خلال حركة إسلامية عالمية لا يمكن لها أن تكون كذلك إن لم يكن كل فصيل فيها يتمتع داخلياً بمناخ صحي للأفكار والنشاطات..

وعلينا أن نعترف أنَّ قاعدة الحركة الاسلامية في معظمها طيبة طاهرة تشعر أنها اختارت جنب الله عندما اختارت الانتماء للحركة الاسلامية ولكن المشكلة تكمن كثيراً في القيادات الاسلامية.. لهذا أتوجه اليهم بكل الصدق والتجرد والله خير شهيد أنْ مزيداً من التواضع ليس كشعار بل ممارسة من قبل قادة الفصائل الاسلامية.. مزيداً من الشعور بأنَّ الآراء النيرة ليست حكراً على «الأنا الضيقة» بل إحترام وتشجيع الرأي الآخر.. مزيداً من فسح المجال أمام الشورى كي تأخذ عبر قنواتها النظيفة دورها في اتخاذ القرار ورسم إستراتيجية التحرك.

وبدون هذا سنظل ندور في حلقة الانشقاقات والتسميات الجديدة عبر متوالية حسابية تناقصية مما يحدث مزيداً من تكريس الانشقاقية داخل الساحة الاسلامية.

إن قاعدة الحركة الاسلامية تسير بها الأحداث الجسيمة اليوم إلى مزيد من إدراك جوهر الصراع وطبيعته وظروفه التاريخية فمزيداً من التلاحم بين القادة والقاعدة من خلال روح الشورى واحترام الرأي الآخر والحب والتناصح الصادق.

وإن الله سبحانه سيسألنا حتماً كلاً بمفرده فلنتق الله في حركة الاسلام ومستقبل المستضعفين.. وعندما نتجه نحو الله بهذه الروح مجاهدين أنفسنا بهواها وضعفها سيهدينا المولى الى أفضل السبل «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»

الاعلام الاستعماري عدو خبيث

يتخذ الكثير من المناضلين والمواطنين من المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام الاستعمارية اساسا لتحليلاتهم ومصادر معلوماتهم دون ان يدققوا جيدا في صحة ودوافع هذه المعلومات. وبالمقابل تسعى هذه الوسائل للتأثير على الرأي العام لتكوين وسط مهيئ للدعايات والتأثيرات والاتجاهات السياسية والنفسية والثقافية المعادية المشوهة.

يساعد وسائل الاعلام الاستعمارية في انجاز مهمتها امور عديدة من أهمها:

١ــ سعة وانتشار هذه الوسائل وقوة تأثيرها، حيث يختلط التعليق والخبر السياسيين بالاغنية وبالصورة والتاريخ... الخ. فتتسرب الدعاية المعادية سهلة الى قلوب الناس خصوصا قطاعاتهم المثقفة المرتبكة التي لاتصدق الا الحرف الاجنبي، والتي فقدت حصانة تراثها واستقلاليتها وقيمها وثقتها بنفسها وبدينها وبرب العالمين.

٢ــ تقدم هذه الوسائل كادوات «موضوعية» ولكونها واسطة وأداة نقل، يعطيها الناس دورا حياديا رغم ان الواقع هو العكس تماما. فهذه الادوات هي جزء من مؤسسات مركزية في الجبهة المعادية. وهي تقوم على اساس قرارات سياسية واستراتيجية تحمل في طياتها كل المخططات المعادية.

ان وسائل الاعلام عندنا تنقسم الى قسمين، عالمي ومحلي. وان ما يهمنا بحثه هو وسائل الاعلام العالمية الاستعمارية لانها الاخطر والأخبث. بل هي تؤثر مباشرة على الاعلام المحلي لما تملكه من قوة وتأثير ولان الوسائل المحلية تابعة او مقلدة.

ان وكالات الانباء العالمية تسيطر على ٩٥ بالمئة من الانباء والاخبار العالمية والتعليقات التي تنقلها وسائل الاعلام عندنا. ولسنا بحاجة الى القول بأن هذه الوكالات لها علاقات وثيقة بدوائر استخبارات بلدانها وكذلك بوزارات الخارجية والاعلام فيها وبالدوائر السياسية العليا بشكل عام. ان تاريخ معظم هذه الوكالات يرتبط بتاريخ الشركات الاستعمارية الكبرى، حيث تشترك في الافادة من امكانات بعضها البعض. وبالتالي فانها تخضع كليا لسياسة الدولة وتخدمها في تنفيذ مآربها.

وتتعامل هذه الوكالات مع الاخبار كأي سلعة تجارية تبيعها وتحقق مليارات الدولارات كارباح سنوية. لذلك فهي تزوق الأخبار وتجملها وتجعلها مثيرة ليكثر الشارون. تمتلك هذه الوكالات موجودات واجهزة تقدر بمليارات

الدولارات . ويشتغل لديها الاف المستخدمين وتستخدم أفضل ما انتجه العلم من تقنيات لبث وتوزيع الاخبار الى المؤسسات العالمية والمحلية . ان هذه الوكالات لا تبيع المعلومات فقط . بل تبيع التحقيقات والتقارير والصور في شتى مجالات الحياة ، هذه المعلومات والتحقيقات تظهر مباشرة في وسائل اعلامنا المحلية . فتطوق عقول الجماهير ، التي تراها اينما التفتت فالبائع يتمثل بعدد قليل من وكالات الانباء الاستعمارية ، اما الشارون فعديدون وكذلك وسائل البث وهذا يؤدي الى ان يختفي المصدر الحقيقي للاخبار الذي غالبا لايشار اليه وان تم ذلك فبحرف او حرفين .

لقد أخذنا «صحيفة وطنية» (عربية) صادرة قبل أيام فحسبنا الاخبار والتعليقات العربية والعالمية الموجودة فيها ، فوجدنا مايلي :

مجموع الاخبار والتعليقات المنشورة ٥
المرسل من الوكالات الاستعمارية ٤٢
من مصادر اخرى ٨

ولا نكتب سرا عندما نقول ان طريقة العمل في اية صحيفة او اذاعة عربية تعتمد على مراقبة اجهزة الاستلام الالية (تيلي برنت) التي تشترك فيها وسائل الاعلام مقابل مبالغ معينة . وبعد عملية مراقبة وتجميع المعلومات المستلمة في خلال اليوم يقوم احد المحررين بصياغة الخبر لتنقله وسائل الاعلام الى الناس . ومهما برع المحرر ومهما كان وعيه الوطني عاليا ، فهو يكتب ويقدم للناس من داخل الدائرة الاجنبية وليس من خارجها . قد يحذف كلمتين او فقرتين . لكن جوهر ما سيقدمه للمواطنين سيبقى في اطار الافكار والمعطيات التي تريد قوى كبيرة وقديرة ان تقدمها لنا . فمجرد بث وسائل اعلامنا للخبر سيعني قبول أمور عديدة من جملتها مايلي :

١ — توقيت اجنبي لاثارة اخبار دون اخرى
٢ — تحجيم اجنبي لاخبار دون اخرى
٣ — سياق اجنبي دون اخر لتواتر الاخبار وتفسيرها وارتباطها .
٤ — قيم اجنبية يريدونها ان تكون هي دون غيرها المعيار لتعريف الوطنية والديمقراطية والحرية والعدالة والثقافة والعلاقات الانسانية والاجتماعية الخ ..

فاذا قبلنا كل ذلك ونقلناه بالحجم — وحتى بالطريقة التي تكلمنا عنها — الى وسائل اعلامنا المحلي ، ثم اضفنا اليه ما يصلنا مباشرة عن طريق وسائل الاعلام الاجنبي ، فاننا نستطيع ان نتصور ثقل المعلومات الخبيثة المعادية المتسربة الى صفوفنا واوساطنا ، والتي بسبب سعة انتشارها وبراعة تقديمها ستتحول الى «حقائق» او ما اشبه لا يمكن تكذيبها او تسفيهها ، وستكون هذه «الحقائق» هي معيار «الموضوعية» و«الواقعية» ، وستؤثر بشكل مباشر في توجيه قطاعات مهمة من الرأي العام وخصوصا قطاعاته «المثقفة» مما يولد ارضية يستفيد منها العدو ويتضرر منها الشعب .

يسعى الاعلام الاجنبي من جملة ما يسعى اليه الى تحقيق مايلي :



١ — افقادنا الثقة بقيمنا ومعاييرنا واعتمادنا على النفس وافقادنا الثقة بحركتنا وقيادتنا وقوى شعبنا .

٢ — شق صفوف الشعب وتأليب قطاعات ضد اخرى باستغلال ثغرات يسهل سدها بغياب الاعلام الاجنبي وتأثيراته الفكرية ويتسع شقها بوجوده .

٣ — دفعنا لمعارك لم نفكر بها وخلق الارباكات والمشاكل امامنا .

٤ — شق صفوف القوميات المتآخية والشعوب المتجاورة وتأليب الدول الضعيفة ضد بعضها . وافساد اجواء الثقة والنوايا الطيبة .

٥ — عزلنا وتطويقنا وتضليلنا بافكاره وقيمه .

وضروري ان نؤكد هنا ان سبب سيطرة الاعلام الاستعماري يعود من ضمن الاسباب الرئيسية الاخرى التي تقاعس المسلمين عن واجب التضامن والتكافل والتساند . عن واجب العلم والمعرفة . عن فرائض الحياة الاسلامية . وقعودهم عن المواجهة وعن الجهاد . ان الاعلام الاسلامي غائب تماماً أو خاضع لطواغيت الرأسمالية العالمية .. فهل نستطيع تسمية الاوراق الصفراء التي تحمل اسم العروبة والاسلام وتخفي بين طياتها روائح النفط والدولار وبصمات الدم العربي والمسلم في لبنان وفلسطين وارتيريا وافغانستان . هل نستطيع تسمية عملاء تسويق السلع الاميركية والثقافة الاميركية (او بالاحرى السخافة الاميركية) جرائد ومجلات اسلامية ؟ ان هذه الجرائد تنتشر وتتكاثر يومياً بأموال عربية — اميركية — اوروبية مشتركة .. فالجميع أصبح يفهم اليوم ان المستقبل للاسلام .. وها هم قد انتقلوا لمحاربته برفع الرايات الاسلامية التي تخفي تحتها الف الف ابي لهب .

عاصم حسين

الفتنة اشد من القتل : التبشير والاستعمار - مثال التعليم

الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ

قلنا في مقالة «الفتنة اشد من القتل» * ان المدرسة المعاصرة التي بنيت في القرن الماضي والقرن الجاري سواء من قبل المبشرين او بمساعدتهم او على هديهم قد شكلت اللبنات الاولى لما سمي بنظام التعليم المعاصر. وصار هذا الاخير هو الوريث الطبيعي لنظام التبشير والغزو الفكري الاستعماري وقلنا ، انه مادامت مؤسسة التعليم المعاصر تقوم على تلك الارضية التي ارستها حملات التبشير وما دامت مستمرة في خدمة ذات المناهج والاخلاقيات وتطمع الى ذات الغايات التي جوهرها تغريب الثقافة ومحاربة الاسلام والتشكيك به ، وتقف كبديل للمدرسة والجامعة الاسلامية فأن ما ستقدمه كنتائج لن يولد سوى اشباه متعلمين عقولهم في الغرب واجسادهم في الشرق. وان هؤلاء سيكونون — وبغض النظر عن النوايا والحالات الاستثنائية — مصدراً ثابتاً من مصادر الفتنة المعاصرة التي تغذي جذورها سموم الاستعمار واخلاقياته.

ولالقاء الاضواء على هذه المسألة الخطيرة ، ننقل اليوم مقتطفات من الكتاب القيم للدكتورين مصطفى خالدي وعمر فروخ والمعنون (التبشير والاستعمار في البلاد العربية — عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي — المكتبة العصرية ببيروت — صيدا — الطبعة الخامسة — ١٩٧٣). ولقد لخصنا ما اورده المؤلفان حول اسس وغايات النظام التعليمي الذي انشأه المبشرون ولم نضف شيئاً الى ما قالاه أو نتصرف فيه عدا في حالة او حالتين.

ولكن قبل ان نتعرض لاهم ما اورداه حول التعليم رأينا من المفيد أن نقتطف بعض ما ذكراه حول بواعث التبشير. يقول الكاتبان :

يظن بعض الناس ان المبشرين يأتون الى الشرق لنشر الدين.. والحق ان نشر الدين امر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية. فالكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ، ومن الذين يأتون فيها ، لا صلة بين اهدافهم الحقيقية وبين الدين الذي يزعمون انهم جاءوا لنشره.

اننا اذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين ، وعالما مادياً لا يعرف للروح معنى : ان امريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول — كما يقول امين الريحاني — قد غطت نصف الارض بمبشرين يزعمون انهم يدعون الى حياة روحية وسلام ديني. وبينما نرى فرنسة دول علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج. ان اليسوعيين المطرودين من فرنسة هم خصوم فرنسة في الداخل واصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها. وكذلك ايطالية ، التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين. حتى الروسية السوفياتية التي تدعو في بلادها الى محاربة الاديان — كما يقال — رأيناها بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما ارادت ان تحقق لنفوذها توسعا اقليمياً وسياسياً ودعت الى مجمع سكوني في موسكو وحملت اليه المؤتمرين. وكثيرا ما كان الرجال العسكريون من الانكليز خاصة يحضون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم ، كما نصح الجنرال هايغ للحكومة البريطانية ان ترسل مبشريها الى شبه جزيرة العرب[١]... وكثيرا ما كشفت الجمعيات التبشيرية عن اطماع المبشرين الشخصية واكتشفت بينهم المكرة ، او الذين احبوا ان يستغلوا الجمعيات التبشيرية ليسافروا في العالم على حسابها ، وهم في الحقيقة تجار او رجال دعوة (اجتماعية او اقتصادية) لا صلة لها بالتبشير[٢]. بل ان ثمة شيئاً اكبر من ذلك : ان هؤلاء لا يتحلون بالاخلاق الحميدة. كتب الشاعر القروي رشيد سليم الخوري في مجلة «العصبة الاندلسية»[٣] يتكلم بأسم النصارى الذين يتألمون — كالمسلمين ايضاً — من اضرار المبشرين كلهم والبروتستانت خصوصاً فيقول : «اما من الناحية الدينية فان اقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضي ان اكون بارعاً في الجدل او عالما شهيداً بالتاريخ..! ان طوائفنا العديدة.. قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الامريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية.. وكم انفق الامريكيون.. لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه.. وكأننا أشد افتقاراً الى فضائل المسيحية من الامريكيين انفسهم!».

ونورد من جانبنا مفارقة ذات دلالة تكشف نفاق الفكر الاستعماري الغربي وتناقضاته. اذ يقول الغربيون ان «نهضتهم» و«ثورتهم» الحضارية المعاصرة قامت على فصل الدولة عن الكنيسة وفصل الفكر العلمي عن الفكر الكنسي. لكنهم في مستعمراتهم التي غزوها بأسم الحضارة والعصرنة ولمحاربة الجهل فأن المبشر يسبق او يرافق التاجر او العسكري او انه يحمل مهمتها. وهذا الامر يكشف حقيقتين : الاولى ان الدين عندهم قديماً وحديثاً لم يكن (كمؤسسة) سوى غطاء لمشاريع عدوانية عنصرية استعبادية ضد شعوبهم وضد الشعوب الأخرى ، والثانية هي ان اهداف المبشرين الحقيقية في البلاد الاسلامية هي القضاء على الاسلام ، او على الاقل التشكيك به ونشر تلك القيم الوضعية او الانانية او الخرافية التي تفسد عقول المسلمين وتغير من انماط حياتهم بما يخدم تبعيتهم وخضوعهم للغرب والاستعمار.

ليس للتعليم عندهم غاية سوى التبشير وتجيب الاستعمار

قال نفر من المبشرين :

«ان اهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الارساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة. ان المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الاولى واسطة لتمرين قسس للكنيسة.. حتى ان الموضوعات العلمانية التي تعلم ، في كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين ، تحمل معها الاراء النصرانية[٤] وعلى هذا الاساس كتب المبشر هنري هريس جسب في الخامس من كانون الاول عام ١٨٧٠ ، لنبتهل الى الله في سبيل تعميد نفوس اولئك الشبان الذين يترددون على الكليات[٥]. ويرى هنري جسب نفسه : «ان التعليم في (مدارس) الارساليات المسيحية انما هو واسطة الى غاية فقط. هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا افراداً مسيحيين وشعوبا مسيحية. ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الارض وعلماء النبات وخير الجراحين والاطباء في سبيل الزهو العلمي.. فاننا لا نتردد حينئذ في ان نقول ان رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي الى مدى علماني محض ، الى مدى علمي دنيوي. مثل هذا العمل يمكن ان تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج هارفر وشيفيلد ، لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى الى اهداف روحية فحسب[٦].

وكان جسب قد قال قبل ذلك : ان المدارس شرط اساسي لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في

نفسها(٧) . ورأي المبشرين في ذلك لم يتغير قط .. فيقول بنروز الذي جاء في عام ١٩٤٨ ليتسلم زمام جامعة بيروت الامريكية : لقد ادى البرهان الى ان التعليم اثمن وسيلة استغلها المبشرون الامريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان .. ومن اجل ذلك تقرر ان يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجيلية (الجامعة الامريكية اليوم) من مبشري الارسالية السورية » .(٨)

يقول دانبي(٩) : كان التعليم ... وسيلة قيمة الى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية (في نفوس الطلاب) »

وقبل دانبي وبنروز ذكر المبشر المشهور جون موط نفسه كلاما اكثر وضوحاً ، وفي ما يتعلق بالتعليم بين الصغار خاصة ، قال(١٠) : « يجب ان نؤكد في جميع ميادين (التبشير) جانب العمل بين الصغار وللصغار . وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غبرية ، ترانا مقتنعين لاسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الاسلامية . ان الاثر المفسد في الاسلام يبدأ باكراً جداً . من اجل ذلك يجب ان يحمل الاطفال الصغار الى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل ان تأخذ طبائعهم اشكالها الاسلامية . ان اختبار الارساليات في الجزائر ، فيما يتعلق بهذا الامر، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي افريقية ، اختبار جديد ومقنع .. وهكذا نجد ان وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلة من احسن الوسائل للوصول الى المسلمين » .

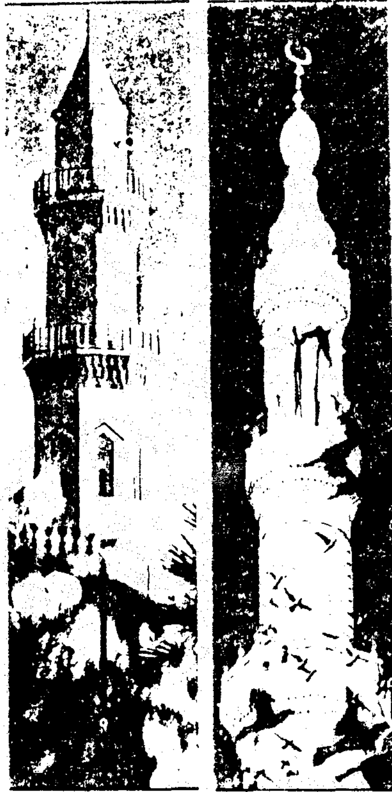
كيف تختار هذه المدارس اساتذتها؟

يقول المؤلف دانبي : « ثم يتسع الشك على كل حال حينما نأتي الى استخدام معلم غير مسيحي ليعلم موضوعات لانجد لتعليمها معلماً مسيحياً ... ثم هو يمكن ان يؤثر في طلابه اكثر من المعلم المسيحي المجرد من الصفات التي يتصف بها ذلك المعلم المسلم . ولكن اذا كانت الغاية من التعليم في المدارس المسيحية (كما يجب ان تكون) انما هي تزويد الطلاب باستشراق مسيحي للحياة ، وتمرين لهم على ممارسة المبادئ المسيحية وتقريبهم من اختبار شخصي للايمان المسيحي ، فكيف يمكن للمسلم الامين ان يعاوننا على بلوغ هذه الغاية ؟ ثم اذا كان هو يعتقد بهذه الغاية (لانه ضعيف الشخصية خنوع) ولكنه لا يخطو خطوة يصبح بها مسيحياً ، افلا يكون له حينئذ على تلاميذه تأثير سلبي فيستنتجون من سلوكه ان الدين ليس موضوعاً ذا اهمية حاسمة ؟(١١) .

اما اذا دعت الحاجة الى معلم وطني فليكن مسيحياً في الدرجة الاولى . ولكن يجب ان يكون متمرناً على التبشير . ونحن اذا راجعنا اسماء الاساتذة الذين يعملون في مؤسسة كالجامعة الامريكية مثلا رأينا ان جميع الذين تعهدوا هذه المؤسسة من قبل ، او عملوا فيها ، كانوا مبشرين . ولا يزال الى اليوم فيها نفر مبشرون في الدرجة الأولى ..

ولا تزال جميع المدارس الاجنبية تسير على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم ما امكن ، حتى الكلية العلمانية . اما مدارس اليسوعية والفرير فلا يمكن ان يعلم فيها مسلم ابداً ، واما الكلية العلمانية في بيروت ففيها مدرس واحد مسلم على ما نذكر (عام ١٩٥٣) . واما الجامعة الامريكية في بيروت فكانت قد مالت منذ عام ١٩٢٥ الى ان يكون فيها عدد من المدرسين المسلمين اختارتهم من الاسر المعروفة .

وبما أن التبشير رأساً لم يجعل أحداً من المسلمين يصبأ الى النصرانية ، فقد . اتفق المبشرون على ان يقتربوا من المسلمين بطريقة غير مباشرة . والكل متفقون على ان التعليم افضل هذه الطرق غير المباشرة(١٢) من اجل ذلك يجب ان لا نستغرب اذا كانت اكثر مدارس البنين والبنات — والمدارس الامريكية خاصة — لاتزال مرتبطة بالارساليات(١٣) . ومع ان الارساليات التبشيرية تحاول النفوذ الى الطوائف المسيحية المتعددة في الشرق ، كأن يكتسب البروتستانت مثلا نفراً من الارثوذكس ، فان المقصود الأول بالتبشير من طريق التعليم هم المسلمون ، وخصوصاً بعد أن تبدلت الاحوال والعقليات بعد الحرب العالمية الاولى . وهكذا كان « تاريخ التبشيرية في البلاد الاسلامية ، الى حد كبير، تاريخاً للتعليم الاجنبي »(١٤) .



لما بدأ المبشرون عام ١٨٣٤ يفتحون المدارس في بلادنا كان معظمهم يقصر التعليم على التوراة والانجيل فقط .... ويشهد « جسب » انه كان في ذلك العصر كثيرون من المسلمين يقرأون (ويكتبون أيضاً) . اما بين النصارى فكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة نفراً قليلين . من اجل ذلك . كله فكر المبشرون كلهم بان يتخذوا من التعليم وسيلة وستاراً الى التبشير . ولقد رتبوا ذلك على المنهاج التالي :

١ — « ان المبشر الاول هو المدرسة »(١٥)

٢ — الكتب المدرسية خاصة والطعن على الاسلام :

واخيراً جاءت العلوم الحديثة . ولم يبق بالامكان ان تتجاهل المدارس الاجنبية علوما عظيمة نافعة .. فلجأت تلك المدارس حينئذ الى سياسة جديدة . الى سياسة الدس على الاسلام والتاريخ الاسلامي . لنأخذ اولاً الكتاب التالي ... اسم الكتاب هو « البحث عن الدين الحقيقي(١٦) وهو محاضرات في التعليم الديني . تأليف المنسنيور كول . وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس (طبعة ١٩٢٨) . هذا الكتاب قد نال رضا البابا ليون الثالث عشر في عام ١٨٨٧ ثم عاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب الى اليوم يطوي الصدور على الاحقاد نحو العرب والمسلمين . جاء في الصفحة ٢٢٠ من هذا الكتاب مايلي : « الاسلام — في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو جديد . ذلك هو الاسلام الذي اسس على القوة وقام على اشد انواع التعصب . لقد وضع محمد السيف في ايدي الذين اتبعوه . وتساهل في اقدس قوانين الاخلاق . ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات . وبعد قليل اصبحت اسية الصغرى وافريقية واسبانيا فريسة له . حتى ان ايطالية هددها بالخطر . وتناول الاجتياح نصف فرنسة . لقد اصيبت المدينة . ولكن هياج هؤلاء الاشياع (المسلمين) تناول في الاكثركلاب النصارى ... ولكن انظر . ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتية (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ — ١٢٥٤م) في سبيل الدين فتدجج اوربة بالسلاح وتنجي النصرانية . وهكذا تقهقرت قوة الهلال امام راية الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق السهلة ...»

وهذا كتاب آخر يدرس مثلاً في الصف الرابع من المدرسة البطريركية في بيروت . ويدرس بلا ريب في مدارس اخرى كثيرة في لبنان . وفي غير لبنان والاسم الكامل لهذا الكتاب هو :

تاريخ محاضرات ج. ايزاك. حررها أ. ألبا للشرق الادنى. لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى) طبعته مطابع الاداب الفرنسية في بيروت(١٧).

جاء في هذا الكتاب:

ص ٣١ - واتفق لمحمد في اثناء رحلاته ان يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى. ولما اشرف على الاربعين اخذت تتراءى له رؤى اقنعته بان الله اختاره رسولا.

ص ٣٢ - والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما هو يتكلم. وقد أمر محمد اتباعه ان يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة

ص ٣٦ - وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل

ص ١٢٦ - ودخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد.

وهناك كتاب آخر يستحق اهتمامنا. اسمه تاريخ فرنسة تأليف هـ غيومان وف لوستير (لصفوف الشهادة الابتدائية). والى حين كتابة هذا المؤلف (التبشير والاستعمار) كان هذا الكتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت. وفي مدارس هذه الارسالية في غير بيروت بلا ريب. وقد جاء فيه مما نحن بصدده:

ص ٨٠ - ٨١: ان محمداً. مؤسس دين المسلمين. قد أمر اتباعه ان يخضعوا العالم وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو. ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى. ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: «اسلموا او تموتوا» بينما اتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم. ماذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا؟ اذن كلنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين.

وهكذا استغل المبشرون العلم ستاراً لغايات هي بدورها ستار لغايات اخرى. لقد تظاهروا بالعلم وتظاهروا بالاحسان الى الناس وتظاهروا بالدين. ولكنهم في الحقيقة يريدون - هم ومن استخدمهم - ان يصلوا من طريق هذا النشاط البرئ في ظاهره الى استعباد الشرق وإستغلاله سياسياً واقتصادياً.

في عام ١٢٩٤ للميلاد ظفر رامون لل بمقابلة من البابا سلستين الخامس وقدم له كتابين فيهما خطة للتبشير بين المسلمين في الاكثر. وكانت خطة رامون لل ذات شقين. اولها ان تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتبشير. وثانيتهما ان ينصر المسلمين بالقوة اذا لم تنجح فيهم الجهود السلمية(٢٠) ومع ان البابا سلستين هذا لم يصغ تمام الاصغاء الى رامون لل(٢١) فان التبشير مشروع بابوي متميز حتى من النصرانية نفسها(٢٢). ان غريغوريوس السادس عشر الذي اصبح بابا عام ١٨٣١ قد شجع اليسوعيين على المجئ الى سورية وامرهم بالعمل فيها(٢٣). وكذلك اعطى البابا ليون الثالث عشر اليسوعيين في سورية عام ١٨٨١ حق منح الشهادات بانواعها. وهكذا اصبحت جامعة القديس يوسف جامعة بابوية اما بيوس الحادي عشر الذي جاء الى عرش رومية عام ١٩٢٢ فقد كان يسمى بابا التبشير(٢٥). وهكذا نرى ان التبشير من طريق التعليم مشروع بابوي في اساسه وتطوره.

وللتعليم عند المبشرين غاية واحدة. هي تنصير التلاميذ الذين يحضرون الى المدارس. في الكلية الانكليزية في القدس طلاب مسلمون ونصارى ويهود. وكانت سياسة المدرسة ان تبشر فيهم كلهم. الا ان المقصود بالتبشير هو المجموع الاسلامي. ذلك لان تاريخ الاعمال التبشيرية في بلاد الاسلام كان الى حد كبير تاريخاً للتعليم التبشيري(٢٧).

ولقد استغل المبشرون التعليم لأن للتعليم اثرا فعالاً. بل هو اقوى وسائل التبشير. وعلى هذا الاساس بدأ المبشرون بانشاء مدارسهم

والمبشرون يرون ايضاً ان الوسيلة التي تأتي باحسن الثمار في تنصير المسلمين انما هي تعليم اولادهم الصغار(٢٨). من اجل ذلك لم نستغرب ان يدعو المبشرون الى انشاء مدارس كثيرة في البلاد الاسلامية.



فانهم بهذه الطريقة يخرجون التلاميذ المسلمين من عناية المدارس المسلمة. في مصر مثلا ترى المبشرين يكثرون من مدارسهم لينتزعوا المسلمين والاقباط على السواء من مدارس الحكومة فيخرجون التلاميذ من نطاق التعليم الاسلامي الى مدى التعليم المسيحي(٢٩). ويفتخر «جسب» ان مجموع عدد التلاميذ في المدارس الامريكية البروتستانتية كان في عام ١٨٩١ يبلغ ٧١١٧. فاذا اضيف اليهم عدد الطلاب في سائر المدارس البروتستانتية كان ثمة خمسة عشر الف طفل في قبضة التعليم الانجيلي(٣٠). وبعد ثماني عشرة سنة. اي عام ١٩٠٩ كان للاميركان وحدهم مائة واربع وسبعون مدرسة في سورية وحدها متناثرة في المدن والقرى(٣١) والمبشرون يحرصون ان تكون المدارس هذه اجنبية (في لغتها) لأنها تجعل المسلمين اقرب الى التوراة(٣٢).

ومع كثرة المنافسة بين فرق المبشرين المختلفة في التعليم وفي غير التعليم فإن هذه الفرق اتفقت كلها على المسلمين. في عام ١٩١٢ كان في سورية كلها ثمان وثلاثون مؤسسة تبشيرية ما بين انكليزية واسكوتلندية وايرلندية والمانية وسويدية ودنماركية واميركية طبعاً. لها مدارس كثيرة. وقد كانت هذه المؤسسات، مع تضارب سياساتها متفقة على وضع التوراة في العربية بين ايدي الطلاب على انه كتاب تدريس اساسي(٣٣).

ولكي يكون التبشير كاملا يرى المبشرون ان يتولوا هم التعليم في جميع انواعه ودرجاته(٣٤) فرياض الاطفال مثلا مهمة جداً للتأثير في عقول الاطفال الغضة وللاتصال باهل الطلاب وكذلك التعليم الابتدائي وسيلة ثمينة يمكن المبشرين من ان يثبتوا اقدامهم في القرى(٣٥).

٣ - اجبار المسلمين على دخول الكنيسة في مدارس المبشرين وعزلهم عن بيئتهم: ان المدارس الاجنبية كانت تجبر جميع طلابها على دخول كنيسة المدرسة مرة كل يوم. ولا تزال مدارس الارساليات الفرنسية تفعل ذلك الى يومنا هذا او انها ظلت تفعل ذلك الى زمن قريب على الاقل. وكذلك كانت الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الامريكية اليوم) تفعل ذلك فتجبر جميع طلابها على دخول الكنيسة وعلى حضور درس التوراة. وبمرور الوقت اعفي الطلاب غير المسيحيين من دخول الكنيسة لكنهم غير معفيين من حضور دروس التوراة. وفي سنة ١٩١٢ كان على جميع الطلاب ان يحضروا قداس الوعظ يوم الأحد. وكان ثمة اجتماعات دينية يتوجب حضورها على بعض طبقات الطلاب(٣٦).

وفي المدرسة الثانوية المعروفة بكلية بغداد في العراق وفي جامعة الحكمة اللتان يديرهما الاباء اليسوعيون الاميركيون يرغم جميع الطلاب المسلمين منهم وغير المسلمين على الوقوف عند اداء الصلاة المسيحية قبل بدء

الدرس وعند انتهائه . مرة بالانكليزية واخرى بالعربية . وذلك حسب طبيعة الدرس . كما يرغم جميع الطلاب على حضور القداس واعترافات يوم السبت . واستمر العمل على هذه القاعدة الى انتُعرفت هاتان المؤسستان في اواخر الستينات .

ومن جهة اخرى ، تطبق في جميع هذه المعاهد انظمة صارمة للسيطرة على التلاميذ والطلاب . ويحرص المبشرون على الاحتفاظ بالطلاب طوال ساعات النهار لابقائهم خارج بيئتهم الاجتماعية . كما يكثرون من الواجبات البيتية لاحكام عزلتهم حتى عن عوائلهم . وتعزيزا لعزل الطلاب عن بيئتهم تفرض سلسلة من العادات تتناول الملبس والسلوك والعطل الرسمية والفعاليات الاجتماعية وغيرها .

٤ ــ التعليم النسائي خاصة : ان المرأة ذات اثر في التربية اكثر من الرجل فأولوها اهتماماً عظيماً ، حتى قال «جسب» : ان مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني . لقد شعرت دائما ان مستقبل سورية انما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأت مدرستنا للبنات ، ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها . وها هي قد اثارت اهتماماً شديداً في اوساط الجمعيات التبشيرية(٣٧) .

ان المبشرين لم يتأخروا في فتح مدارس البنات . ان اول مدرسة للبنات في الامبراطورية العثمانية فتحها المبشرون في بيروت عام ١٨٣٠(٣٨) . ولقد فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات في مصر والسودان وسورية كلها وفي الهند والافغان(٣٩) .

وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات اشد . قالوا : ان التبشير يكون اتم حبكاً في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الاحوال المؤاتية والفرص السانحة . ان المدرسة الداخلية تفضل عن المدرسة الخارجية لانها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات اوثق ولانها تنتزعهن من نفوذ حياة بيتية غير مسيحية(٤٠) ويفرح المبشرون اذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من اسر معروفة ، لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ في بيتهن أعظم . وتتكلم المبشرة «أنا ميليغان» فتقول : في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات اباؤهن باشوات وبكوات . وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق الى حصن الاسلام اقصر مسافة من هذه المسلمة(٤١) . من اجل ذلك طلب المبشرون الامريكيون منذ عام ١٨٧٠ مبلغ ثلاثين الف دولار لمدرسة دينية في بيروت وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية وان تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية في المستقبل(٤٢) .

٥ ــ التبشير وقادة البلاد في المستقبل : لقد ادرك المبشرون منذ زمن ان التبشير قد خاب . لان الافراد الذين لفتهم المبشرون عن الاسلام الى النصرانية كانوا قليلين . ولم يكن لهم الاثر المنتظر . فلما اعتقدوا ان لا قدرة لهم على جعل المسلم نصرانياً احبوا ان يجعلوا الاراء المسيحية تتسرب الى المسلمين والى المثقفين منهم خاصة . ثم اعتقدوا ان هذه الاراء تتسرب بعدئذ من تلقاء نفسها الى المجتمع الاسلامي . هذه هي الفكرة التي اقنعت المبشرين بضرورة انشاء المعاهد العالية في البلاد الاسلامية(٤٣) .

وكذلك كان للمبشرين غاية اخرى من التعليم العالي ، هي ان يؤثروا في قادة الرأي في البلاد . وفي الجيل الناشئ في الشرق الادنى خاصة . ذلك التأثير الذي لا يمكن ان يتحقق اذا لم يكن ثمة تعليم عال(٤٤) . وعلى هذا الاساس اوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢ . هذه الكلية اصبحت فيما بعد الكلية السورية الانجيلية ، ثم هي اليوم الجامعة الاميركية في بيروت(٤٥) .

ومن رأي المبشرين ان تؤسس الكليات في المراكز الاسلامية ، ولذلك لم يكتفوا ببيروت بل ارادوا ان يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها الى جانب الجامع الازهر(٤٦) . وهكذا اصبح للمبشرين الامريكيين الكلية الامريكية في القاهرة ، بعد كلية روبرت في استانبول . «وجامعة الحكمة

في العراق ايضاً» .. ولم يكن رأي المبشرين الاخرين مخالفاً لذلك انشأوا كلية لهم في مدينة لاهور(٤٧) وكلية غوردون في الخرطوم الخ ... الخ .

ان المبشرين والذين هم وراء المبشرين ، اي الدول الاستعمارية الكبرى ، يبذلون كل جهد لاستخدام العلم والتعليم في سبيل التبشير . غير ان لتبشيرهم ظاهراً وباطناً . اما ظاهره فدعوة الى سلوك هم لايسلكونه . وتلك دعوة على كل حال لم تتم : إن الذين يريدون ان يبشروا بالنصرانية بين غير النصارى ، هم انفسهم قليلو الاحتفال بالدين كله . وان من عاش مدة يسيرة في اوربة والولايات المتحدة يدرك ذلك تمام الادراك . واما باطن التبشير فهو تفكيك اواصر القربى الروحية في الامة الاسلامية خاصة حتى يستطيع الغرب ان يحكم الشعوب الاسلامية ويستغل بلادها .

---

١ Jessup — Fifty-Three Years in Syria, N.Y. 1910 — p.530

٢ Re-Thinking Missions — 9

٣ عام ١٩٤٧ العدد ٤

٤ Re-Thinking Missions, by the Committee of Appraisal (Ernest Hocking, Chairman) N.Y. & London 1932 — p.118

٥ Jessup — Fifty-Three Years in Syria, by Henry Harvis Jessup. N.Y. 1910 — p.378

٦ Jessup 592, 567

٧ Jessup 562, 592

٨ Milligan — Facts and Falks in Our Fields Abroad — by Anna A Milligan, Philadelphia 1921 — p.124-125

٩ H. Danby — Why "Christian" Schools? or What can "Christian" schools contribute? with particular reference to Palestine, Jerusalem 1936, p1.

١٠ Mott, The Moslem World of Today, 371-372

١١ H. Danby — p.62, 67-68

١٢ MW — The Moslem World, A Christian Quarterly Review of Current Events. Literature & thought among the Mohammedans, N.Y. July, 36, pp.224 ff

١٣ MW, October 1931, p.389

١٤ Milligan 20; Christian Workers 21, III;

١٥ Les Jesuites en Syrie 10:97

١٦ Recherche de la vraie religion

١٧ Histoire, Cours J. Issac, Medigée par A. Alha pour le proche-Orient. Classe de 5 éme. Moyen Age (Les Lettres Francaises, Beyrouth)

١٨ Histoire de France, du cours moyen au certificat d'études, par H. Guillemain et F. Le Ster, Paris (Les éditions des écoles), 11, Rue de Sèures

١٩ Raimon Lull

٢٠ Addison — The Christian Approach to the Moslem, by James Thayer Addison, N.Y. 1942, p.45

٢١ Addison, 46

٢٢ Jung — Les Arabes et l'Islam en face de nouvelles cr(ssades et Palestine et Sionisme, Paris 1931

٢٣ Les Jesuites en Syrie 1:8, 9

٢٤ Ibid 1:10, 11

٢٥ Pape de Mission — Ibid 1:7

٢٦ Cash — The Moslem World in Revolution, by Wilson Cash, London 1926, p.149

٢٧ Christian Workers, 20

٢٨ Christian Workers, 5

٢٩ Jessup, 593

٣٠ Jessup 805-808

٣١ Islam and Missions, by E.M. Wherry, S.M. Zwemer and C.G. Mylrea, N.Y. 1911, p.385

٣٢ Islam and Missions, 385

٣٣ Bliss (R), 328, 329

٣٤ Addison, 123

٣٥ Christian Workers, 22, 23, 58F

٣٦ Jessup (R), 311

٣٧ Jessup, 280

٣٨ Bliss (R), The Religions of Modern Syria and Palestine, N.Y. 1912, p.327

٣٩ Milligan, 121, 102 — Richter, 249 — Gairdner 203-5

٤٠ Milligan, 102

٤١ Milligan, 121
Jessup 23

٤٣ Re-Thinking Missions, 118

٤٤ Milligan 124-5

٤٥ Jessup 241 — Bliss — Reminiscences of Daniel Bliss, London 1920

٤٦ Milligan, 123 F

٤٧ Gairdner, W.H.T., The Reproach of Islam, London 1909, p.245

الابتلاء
وواقع الحركة الاسلامية

من المفيد والضروري أن نحاول فهم سنن الله التي تصاحب دعوة الرسل والأنبياء .. والسائرين على درب الرسل .. وذلك ليمكننا أن نتعرف أكثر على طبيعة دربنا فلا يمكن أن نعلن أننا مسلمون أو «إسلاميون» حتى نكون قد سرنا في موكب الرسول ﷺ ومعيته .. «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» .. فالبصيرة إذاً جزء هام من تكامل التوجه الى الله .

والحديث جيد ومثمر عن الاطر والمؤسسات ولكن العلاقة التفاعلية بين المضامين والاطر من ناحية وكون المضامين هي الجوهر والاساس من ناحية أخرى يجعل الحديث ضروري لاعادة إستكشاف هذه النواميس الالهية التي تصاحب الحركة الاسلامية والتي بمقدار مسير الحركة الاسلامية تحت تأثير إستيعابها تكون في مسارها الصحيح .. والابتلاء هذه السنة التي جعلت للتمييز بين الخبيث والطيب وشوهت الآن ليصبح حال الكثيرين هو الدعوة الى «الاستبلاء» والعيش على وهم «الصبر» .. الابتلاء من تلك السنن التي عندما فهمت خطأ أصبحت عامل تثبيط وإحباط .

فإنَّ للابتلاء مهمته التي لا يمكن أن يستهان بتوضيحها إدراكاً منا بأنَّ الابتلاء حلقة هامة وضرورية في اعداد الطليعة الرسالية .. وحيث أن المرحلة هذه في تاريخ الحركة الاسلامية الرسالية هي مرحلة الابتلاء .

وكثيرون ممن يعذبون في هذه الأرض جزاء ما اقترفت أيديهم يظنون أنهم يمرون بمرحلة إبتلاء فيعيشون على خدر الأوهام والأحلام .. ساحبين موقفهم الى دور القدوة والأسوة الحسنة والسنة الماضية وهم من هذا وذاك أبعد ما يكونوا ..

وذلك لأن للابتلاء مقدماته وله سيرته وبعده نتائج .. ولا نكون كأفراد قد استفدنا من الابتلاء إن لم نخرج أصلب وأعز .. وكحركة إن لم تكن أنقى وأمتن داخلياً وأوضح في رؤاها من قبل ..

يسبق الابتلاء إعداد جاد وهادف على حسب الاستطاعة على أرضية التوجه السليم النقي والتجرد .. ويأتي الابتلاء للافراد المسلمين الذين منهم تتشكل الجماعة أو الحركة ومن المفروض ان تخرج الحركة وهي تحوي أغلبية من الذين قد خلصت قلوبهم لله .. وقد تشبثت أكثر بمواقف



الاسلام من الطاغوت والظلم والشر ..

ويصاحب الابتلاء عدم تنازل عن أي من الافكار والمبادئ التي سبق التصريح بها قبل مرحلة الابتلاء .. فآيات الحرب على الظلم الاجتماعي «وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت» «أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين» وعلى الظلم السياسي «تبت يدا أبي لهب وتب» وعلى الظلم الاقتصادي «ويل للمطففين...» تظل ترتل — بكل نقائها ووضوحها وبلا تحريف — في مرحلة الابتلاء .. والتنازل عن أحدها هو تنازل عن آيات قرآنية جاءت في الفترة المكية لتربي النخبة الرسالية التي ستصبح فيما بعد وبكل هذه المعاني مؤهلة للاستخلاف أو الشهادة .. ويتلو مرحلة الابتلاء النصر والتمكين وذلك عندما تكون المسألة التي تتعلق بالحركة الاسلامية مسألة الاستخلاف أو الاستشهاد إذا كانت قوانين الله وسننه تقضي بأن مرحلة الاسلام لم تئن بعد ..

أمَّا أن تكون المقدمات — مقدمات (الابتلاء) — هي التبعثر والتناحر والتشرذم والتخلي عن خلق الاسلام هذا من ناحية الشروط الذاتية ومن ناحية الشروط الموضوعية نجد ضبابية الرؤية وعدم القدرة على توظيف الوسائل توظيفاً ينسجم مع قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...» .. ثم يأتي «الابتلاء» فيحدث التنازل عن آيات الصدع بالحق في محاربة الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكذا .. ومع (الابتلاء) دعوة الى مراجعة أو تراجع عن الأفكار الأساسية للحركة الاسلامية في مفاهيمها الجوهرية المتعلقة بـ«التغيير الجذري» و«القوة» و«العالمية» و«الوحدة» و«محاربة الأنظمة الجاهلية والطاغوت» .. في هذه الحال يكون الابتلاء هو عقاب اصابنا ليردعنا .. ويصدنا عن طريق الوصول الى دقة القيادة الاجتماعية حرصاً على رسالة الاسلام .

أما أن يذهب بعضنا عقب كل حادثة ويسميها إبتلاء من الله فان هذه عملية تظليمية لدحرنا عن خط الله .. ونكون نتيجة لها في موقع يوجب لنا أحد نتيجتين :

١ — أن ننتهي الى أشكال تحريفية في عالم الفكر والمبادئ .

أو ٢ — أن ننتهي الى أشكال منسلخة حتى من الشعار الاسلامي منخرطة في الواقع الجاهلي

بلا تميز وبدون تريث..

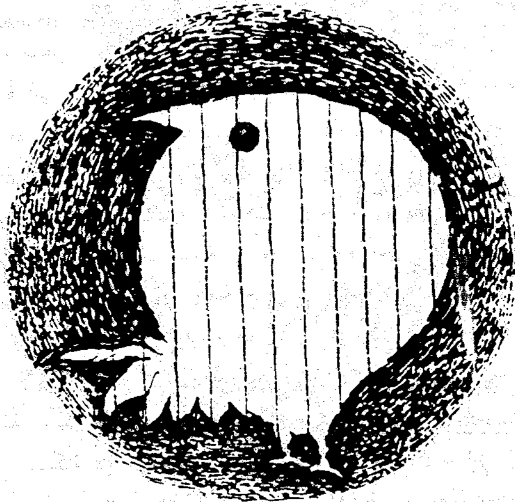
إن المتأمل في تاريخنا العظيم وتاريخ البشرية الطويل يجد عدة صور توضح طبيعة الابتلاء وميزته على الجماعة الاسلامية.. يجد تلك الرموز العظيمة التي عاشت الابتلاء بغير مبدلة أو محرفة فانتهى بنصرها أو استشهادها.. تلك القلة المؤمنة من خيرة الصحابة رضي الله عنهم الذين ايدوه وعززوه في مكة ومن بعدهم الانصار الأطهار.. الحسين رضي الله عنه وحركته التصحيحية التي قادها لارجاع الأمور الى أصولها إنتهت باستشهاد الحسين وصحبه وذلك لأن قانون الله في أن تتسلم الملكية العضوض دفة الحكم لابد أن ينفذ.. وقف سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، مصعب بن الزبير، عبدالله بن الزبير ومعهم كثيرون وبعدهم.. حسن البنا، محمد فرغلي، عبدالقادر عودة، نواب الصفوي، صالح سرية ومعهم كثيرون فكان أمامهم حلاً واحداً هو الشهادة.. شهادة على انحراف السلطة السياسية عن المنبع الصافي وخطه وذلك لأن قانون الله في تاريخنا كما تفسره الآيات والأحاديث كان لابد له أن يسير في اتجاه تطغى فيه المادة وارتكازها على الروح وإشراقها الى نقطة معينة الى نقطة العلو والافساد الاسرائيلي.

إن الحركة الاسلامية في العشريات الأخيرة كان أمامها حلاً واحداً.. أن تتقدم نحو الشهادة.. الشهادة على فساد الحكم وعمالته وظلمه وذلك بمطالبتها وتبنيها لحق الأمة في الجهاد ومحاربة الظالمين المعتدين على شرفها ودينها.. سيكون أمام الحركة بناء على إعدادها لمثل هذا الموقف الابتلاء الذي لا تتنازل معه عن أي من شعاراتها وأفكارها ومبادئها ويقودها هذا الى الشهادة إن كانت نواميس الله تقضي بذلك حيث لم يؤذن بعد بنصر منهج الحق ولابد أن يكمل الباطل جولته بكل أشكالها.. أو الى النصر والتمكين ورفع رايات التوحيد والعدل الاسلامي..

وما أجمل ما يسجله الشهيد الحي سيد قطب — رحمة الله ورضوانه عليه — في تعقيبه على حادثة أصحاب الأخدود: «إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا. وواجبهم أن يختاروا الله وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالايمان على الفتنة وأن يصدقوا الله في العمل والنية ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ماشاء.. إنهم أجراء عند الله اينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا وقبضوا الأجر المعلوم وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة الى أي مصير فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير» — معالم في الطريق —

وفي المؤتمر الخامس للأخوان المسلمين خاطب الامام الشهيد جموع الأخوان: «... وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان.. فهل أنتم مصرون على أن تكونوا من أنصار الله» — البناء والهدم في الدعوات —

وفي كلمة للامام الخميني يوضح فيها جوهر



مسيرة الحركة الاسلامية في مواجهة الابتلاء «إننا بمنطق صدر الاسلام نتحرك، فاذا قتلنا فنحن في الجنة.. وإذا هزمنا فنحن في الجنة.. وإذا أوقعنا بعدونا الهزيمة فنحن أيضاً في الجنة ومن أجل ذلك لانخاف الهزيمة بل إننا لا نخاف من شئ. إننا نحارب بسيف الله وستستمر الحركة» — الخميني الحل الاسلامي والبديل —

هكذا فهم الرساليون كيفية التعامل مع الابتلاء ولا ندري من أي منهم تأتي عملية إلغاء الابتلاء التي يحاولها البعض!! بالمهادنة بدءاً مع سلاطين الجور والعمالة حيث يتسنى لهذا البعض أن يشارك في حكم جزئي أو يتحرك في «مأمن»!!.. إن هذه المحاولة غير الواعية وغير المتوجهة نحو الشهادة تلغي بدءاً أهلية هذا البعض لتسلم الحكم الاسلامي.. وذلك لأنه لايمكن الوصول الى الحكم الاسلامي إلا من خلال طبيعة المنهج القرآني الذي يعني بجلاء أنه لن يكون الاقتراب حقيقياً من الله.. لن يكون عملنا مختوماً بالرضاء من الله إلا اذا سرنا في منهج الله الذي أعلنها بدءاً حرباً على الطاغوت السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي يعتدي على العدل الالهي في أسفر الصور.. هذا فضلا عن الاستفادة من عملية الابتلاء في تنقية النفوس والحركة من الغش والزبد.

بتوضيحنا مفهوم الابتلاء وبفهمنا مهمة الابتلاء الاجتماعية النفسية على الجماعة الاسلامية ندرك أنها عملية لا خطورة منها على الأمة أو الحركة بل ضرورية لابد منها حتى يصلب عود

الحركة الاسلامية سواءاً قبل التمكين أو خلاله.

هذا لا يعني أن نتلذذ بآلامنا وعذاباتنا ونجلس القرفصاء منتظرين وجبات الابتلاء على ديدن بعض الطرقيين الذين بأيديهم يعذبون أجسادهم قربة لله!!

وغني عن القول أن الابتلاء يأتي في أشكال متنوعة.. فالسجن صورة من أشكاله.. كذلك الحصار الاقتصادي والمضايقات المادية.. أو الانحسار الاجتماعي عن الحركة في لحظة من اللحظات «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات» فبتثبت الحركة بأفكارها الاصلية ومحاولة توظيف الوسائل الممكنة لايصالها للأمة وبمزيد من التوجه النقي والسليم نحو وجه الله الكريم ستستطع الحركة كأفراد ومجموع أن تناول إحدى الحسنيين أو الحسنيين معاً.

حتى لا تكون المفاهيم الأصيلة في حركتنا نحو الله عوامل تثبيط وتخدير يجب أن نتعاون لتوضيحها وتوضيح مهمتها الاجتماعية لاسيما ونحن نحاول إيجاد ضمانات فكرية لصعودنا الاسلامي المرتقب بعون الله. فكم من المفاهيم ذات الأثر الفعال في تحريك النفوس وتوجيهها الى الالتحام بمنهج الله قد أصابها بفعل التراكمات والممارسات السلبية الشلل فلم يعد لها أي دور فاعل في جموع كثير من الاسلاميين.

وإنني على يقين متى تغير مفهوم التربية بوجه عام عبر إرجاعه الى جوهر التربية في صدر الاسلام فان مفاهيماً كثيرة ستدب فيها الحياة الفاعلة الناشطة وتأخذ دورها الهام في معركة الحق والباطل.

ها هي الفرصة عظيمة اليوم حيث العلو والافساد الاسرائيلي يستشري ليعطي كنقيض اشارة بدء نهضة اسلامية أصيلة جادة.. تملك ادواتها وتستوعب مفاهيمها الذاتية وتدرك جوهر الصراع الكوني وطبيعته.. والله ولي التوفيق

صلاح الدين فتحي

كيف يفهمون حرية الفكر في اوروبا

بقلم كاتب الشرق الاكبر الامير شكيب أرسلان

يدعو كثير من الناس — ولاسيما من فئة المجددين — الى الاقتداء باوربة في حرية التفكير، وعدم وضع عقال للالسن وللاقلام. ويقولون أن هذا هو الشرط الأول للرقي واننا مادمنا لا ندع الخلق يقولون ما يشاءون ويكتبون ما يشاءون كما هي الحال في اوربة! فلن نبرح متأخرين ولن نصل من المدنية وترقي الفكر الى الشأن الذي وصلوا اليه.

وكل شيء يدعون اليه انما يدعون اليه لانه من أوضاع اوربة ولانه قد سار عليه أهل أوربة. فيكفي الشرقي لاجل الاخذ بامر من الامور أن يقال له ان هذه لمن الامور التي اصطلح عليها أهل اوربة فهو حينئذ يقبله بلا بحث ولا جدال ولا تدقيق هل يصلح له أم لا؟

وقد وقر في أذهان عامة الشرقيين وخاصتهم — الا النفر العارفين بحقائق أحوال اوربة — ان الحرية في اوربة مطلقة لا حد لها، وانه غير ممنوع في اوربة الا اعتداء فرد على فرد آخر، أو أن يأخذ من الحرية لنفسه ما يضر بحقوق غيره. وما عدا ذلك فهو بأجمعه مباح.

وليس شيء أعرق في الوهم من هذه الفكرة. فالحرية في اوربة — هي مطلقة بالنسبة الى بعض البلاد الشرقية وبالنسبة الى القرون الوسطى. والحرية في اوربة تعقل في كل يوم وفي كل ساعة وفي كل دقيقة بمختلف الاسباب والدواعي وتقيد من رجلها وتغل في عنقها والحرية في اوربة تبقى مطلقة الى أن تصطدم بسبب من الاسباب السياسية أو الدينية أو الاجتماعية فاقل مدير أمن عام يقضي عليها.

وكل شيء يضر بمصلحة المملكة يبحث في مجلس النظار فاذا تحقق ضرره صدر القرار بمنعه ولو كان القانون المعمول به في تلك المملكة يجيزه. وكل عمل يحدث قلقاً في المجتمع أو ثورة في الافكار تحظره الحكومة ولا تبالي. وأحياناً

تحظر تمثيل الروايات أو القاء الخطب التي فيها مساس بعلائقها الودية مع الحكومات الأخرى. وأحياناً تطرد من بلادها أشخاصاً لا يأتون بأدنى عمل مخالف للقانون ولا تجد على مسلكهم أدنى غبار وذلك اجابة لطلب حكومة ثانية. ولا يستطيع أحد تمثيل رواية ولا سيما فيها سخرية ظاهرة بأحد الأديان. لاسيما الدين المسيحي الذي هو دين الاوربيين قاطبة.

وأما الامور المخالفة للآداب والاخلاق فالحرية مقيدة فيها من الاصل في صلب القانون. واذا نظرنا الى ذلك نظرة فلسفية وجدنا انه لا يخرج عن كونه تقييد حرية.

ويقول أدعياء حركة التجديد في الشرق: اننا نحن انما ندعو الى الاقتداء باوربة في حرية التفكير وان الجامعة المصرية مثلا لن تفلح مادامت مقيدة بآراء ونظريات معلومة. فالواجب علينا أن نطلق لاساتذتها الحرية التامة ان يدرسوا ما شاءوا من النظريات بصرف النظر عن موافقتها للدين الاسلامي أو مخالفتها له.

ونحن نجاوبهم انه لا يجوز لمدرس من المدرسين أن يلقي في أذهان الطلبة مبادئ مخالفة للعقيدة الاسلامية أو للعقيدة الوطنية لمجرد ظن ذلك المدرس أنها صحيحة أو لمجرد أنها مبادئ لها مزية الجدة. فقد يكون المدرس مخطئاً في ظنه ولا يجوز لناشئة الامة ان تنشأ في الخطأ أو أن تربى على الضلال. ثم انه ليس في العلم قديم وجديد. بل فيه صحيح وفاسد. هذا جوابنا من هذه الجهة.

ومن حيث ان هذه الفئة تستشهد أبداً باوربة فأني أسوق اليها مثلا حديثا من أعمال الحكومة الفرنسوية التي تعد نفسها رأساً في حرية التفكير وتعليم الحقائق وتمنع التعليم الديني في المدارس التابعة للحكومة — أما المدارس الأهلية والخاصة فالتعليم الديني فيها على أتم ما يتصوره العقل — وتزعم أنها حكومة مؤسسة على قاعدة اللا دينية وإن المعارف فيها لا ينظر فيها الا إلى الصحيح أو الفاسد لا الى اعتبار آخر.

اطلع بعض رجال فرنسة على كتاب تاريخ لمؤلف يظهر أنه ينزع في أفكاره الى الشيوعية. وقد وضع هذا التاريخ في أيدي الاحداث في احدى المدارس. وفيه بعض كلمات تشتم منها رائحة ظلم الملثاء (جمع مليء أي ذي المال) للعملة والصعاليك. وكذلك فيه كلمات يؤخذ منها استهجان الحروب ونعت بعض وقائع بونابرت باوصاف منفرة مثل أن المعركة الفلانية كانت مجزرة... وكذلك فيها أن جول فري مثلا ضرب على تونس حماية فرنسا.. وأنه ضرب الحماية الافرنسية على التونكين.

فهذا كل ما في الكتاب أو أقصى ما غلا فيه المؤلف من اظهار مبادئه.

فقامت قيامة الفرنسيس من مجلس النواب. إلى مجلس الشيوخ. الى الجرائد الكبرى: مثل الطان. والدبا. وغيرهما ونادوا بالويل والحرب! كيف يجوز أن يعلم النشئ الافرنسي في كتب تاريخ يقال فيها: ان جول فري أجبر تونس على قبول الحماية الافرنسية أو أجبر آنام في الشرق الاقصى على قبولها.

فماذا يريدون أن يقولوا؟ أيريدون أن يقولوا

ان تونس هي من نفسها بنفسها قد التمست الحماية الافرنسية. ولم يقع عليها استعمال قوة قاصرة؟ أيريدون أن يقولوا أن آنام هي التي دخلت بمجرد ارادتها في دائرة الاستعمار الفرنسي؟

انهم لم يبحثوا في ذلك ولا همهم شيء من الحقيقة التاريخية. ولا شك في أنهم يعلمون ما نعلمه نحن من إستيلاء فرنسة على تونس انما تم لها بالقوة القاهرة، وأن باى تونس محمد الصادق باي لم يمض معاهدة الباردو إلا مكرها. وكذلك مستعمرات فرنسة في آنام والتونكين كلها كانت فتوحات بالسيف وبتسلط القوي على الضعيف.

ولكنهم أنكروا أشد الانكار وأكبروا أفظع الاكبار أن تلقى إلى ناشئتهم دروس يفهمون منها أن فرنسة استولت على تونس وعلى آنام بالقوة! فكان يجب بزعمهم أن يقال ان هذه الممالك هي التي طلبت حماية فرنسة من نفسها وأن فرنسة أجابتها الى طلبها وبسطت عليها أجنحة رحمتها!

ومن شاء فليقرأ مقالات جرائد فرنسة من نحو شهرين عندما قامت القيامة على هذا الكتاب ومنعت نظارة المعارف التدريس فيه.

اهذه هي حرية التفكير أيها الاخوان؟

لنقل أنهم يأبون أن يبثوا في ناشئتهم بعض أفكار تستنشأ منها رائحة ولو ضعيفة من الشيوعية. ولنقل ان هذا عين الصواب. فأما حمل ناشئتهم على الاعتقاد بان الحماية على تونس وعلى آنام انما كانت برضى تام من أهلها فهذا تعليم ليس فيه شيء من تلقين الحقائق كما لا يخفى.

وإكبار ان بعض وقائع نابليون كانت مجازر هذا اكبار لقول الحق.

ومنذ أيام قلائل شاع ان استاذاً فرنسياً اسمه Felicien Challaye مدرساً في مدرسة Condorcet ألقى محاضرة تضمنت بعض الغمز في سياسة فرنسة في مستعمراتها. فأمر ناظر المعارف العمومية باجراء تحقيق ابتدائي عن هذه المحاضرة. ويقال ان الاستاذ المذكور سيحال الى المحاكمة.

أفرأيت أيها القارئ درجة حرية التفكير في فرنسة الحرة..

قد أوقعت الادارة الافرنسية في مستعمراتها في افريقية من الظلم والعسف واهانة الاهلين وانتزاع أملاكهم والكيل بمكيالين والقياس بمقياسين بينهم وبين الاوربيين ما هو واضح كالشمس الساطعة لا ينكره الا الاعمى. وهم يريدون أن يحاكموا استاذاً لغمزه ادارة فرنسة في مستعمراتها وقوله ما يشير الى أنها قد هضمت حقوق الاهلين أو أرهقتهم عسراً.

وبمثل هؤلاء يدعوننا أن نقتدي في حرية التفكير واطلاق الالسن والاقلام في التأليف.

وعلى منوال هؤلاء يهيبون بنا ان ننسج. اليس كذلك؟

لا بل يقولون ان البلاد الاسلامية والشرقية محرومة الحرية الحقيقية وانها لا تترقى الا بها! وان اوربة — وفرنسة في مقدمتها — ما تقدمت ولا ترقت الا بها.

والحرية الحقيقية هي هذه التي أوردنا لك الآن احد أمثلتها.

انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

باختصار ...


اعلان جامعة الأسد

● نشرت جريدة حزب البعث الحاكم في سوريا الاعلان التالي : «على طالبات وطلاب جامعة دمشق ارتداء اللباس الجامعي الموحد. يمنع الدخول الى الحرم الجامعي وقاعات التدريس لمن لا يرتديه اعتباراً من ١٩٨٣/٣/١٥ وبتوقيع رئيس جامعة دمشق. الواضح أن المقصود هو محاربة الحجاب الاسلامي ، فعلى كل مسلمة أن تنزع حجابها أو تتوقف من الذهاب لجامعات الأسد.

● المسكن الذي أشتراه فهد لقضاء اجازته في لندن — في حي كنزنجتون — وتأثيثه كلف ٢٥ مليون جنيه استرليني ، وقد أجريت فيه العديد من التعديلات بدون ترخيص من بلدية لندن التي هددت بهدم كل الاصلاحات. والمشكلة مستمرة حتى الآن.

● منحت السعودية ٣٠٠ مليون روبية كمساعدة اقتصادية للهند لبناء خط حديدي بين كواربوبتي ورايا جاوا في ولاية اوريسا الشديدة التخلف ولاستغلال مناجم المعادن فيها. دم المسلمين في ولاية آسام الهندية مازال ينزف حتى الآن فيما حكومة الهند الصديقة تستلم أموال امتنا.


القذافي : طريق أمريكا سالكه

● مدير وكالة المخابرات الاميريكية وأحد المسؤلين الليبيين التقيا سراً في احدى العواصم الأوروبية للحفاظ على خطوط الاتصال رغم الضجة السياسية الدائرة بين الدولتين. في الوقت الذي أثارت فيه ليبيا القذافي ضجة كبرى حول محاولة اغتيال «للزعيم» يدبرها الاميريكيون بأيدي فلسطينية. عجيب ! أليس كذلك.

● أعلن المهندس محمد اسماعيل كراجيان المدير التنفيذي لشركة الكهرباء الايرانية أن ايران قد وصلت الى الاكتفاء الذاتي في مجالات التخطيط والاشراف وتشغيل المولدات الكهربائية والغازية وانها لن تحتاج الى الخبراء الاجانب في هذه المجالات. واكد على أن معظم الاجهزة والمعدات التي تستخدم في نصب المولدات الجديدة يتم تصنيعها محلياً.

● بلغ عدد المواطنين المسلمين الايرانيين الذين انضموا الى صفوف محو الأمية منذ تأسيس حركة القضاء على الجهل والأمية بأمر من الأمام الخميني. مليون ومئة ألف مواطن. حتى الآن حاز ٣٥٠ الف مواطن على شهادات النجاح في دورات التعليم التابعة لمشروع محو الأمية.

● الجنود والخبراء والضباط المصريون في الجيش العراقي وصل عددهم الى ١٧ الف. في الوقت الذي وافقت فيه حكومة مبارك على استقبال أطقم مدفعية وطائرات من العراقيين لتدريبهم في مصر.

● أصدرت محكمة فرنسية — وللمرة الثانية — حكماً بالسجن لمدة شهر واحد وغرامة ألف فرنك بحق اثنين من الفرنسيين المسلمين ، وذلك بتهمة كتابة شعارات معادية للا[illegible]ة على جدران باريس.


كارميل : أين أطفال الأمة ؟

● تم ارسال ٢٧ الف طفل افغاني الى موسكو ممن فقدوا والديهم اثناء معارك الشعب الافغاني المسلم ضد الغزاة وعملائه. وذلك في اطار عملية «غسل الدماغ» التي يقوم بها الشيوعيون لأطفال افغانستان.

● د. مصطفى محمود، صاحب «رحلتي من الشك الى الايمان» والذي امتطى موجة المد الاسلامي في السبعينات، ومقدم برنامج شهير في تلفزيون القاهرة.... والخ.

مصطفى محمود ينتهي الآن نهاية طبيعية، فبعد تجديفاته المتعددة في أصول العقائد الاسلامية وادعائه بالتصوف سارقاً تراث الصوفية الكبار، اليوم، في التلفزيون السعودي يهاجم عملية «حركة الجهاد» الكبرى في ارض الكنانة وينعت الشهيد العظيم خالد الاسلامبولي والشيخ عبدالرحمن وعبود الزمر «بالقتلة»، ويقول أيضاً «أن فهد ومبارك يمثلان خط الاعتدال وهو نفس الخط الأسلامي».... في مثل هذه الأحوال بماذا نعلق؟!

● السوفييت يحشدون قواتهم على الحدود مع الجمهورية الاسلامية في محاولة للارهاب بعد نهاية حزب تودة وتوقعات بدء هجوم اسلامي جديد على الحدود مع نظام صدام.

● أعلن فرديناند ماركوس رئيس النظام الفاشي في الفلبين وصديق العديد من الانظمة العربية ابتداءاً من النظام السعودي الى نظام القذافي: أن قواته تمكنت من قتل ١٦٢ وأسر ٦٠٣ من الثوار المسلمين في جنوب الفلبين ولكنه أضاف: أن القضاء على الثوار أمر صعب وأن الحرب معهم قد تستمر لعشرين سنة قادمة.


الفاشي ماركوس: صديق العرب

● العجز في ميزانية حكومة قطر لعام ٨٣ — ٨٤ هو ١,٣٢٩ مليار دولار، في الوقت الذي أوقفت فيه دولة الامارات كل التعيينات الجديدة وبدأت في طرد الآلاف من موظفي الحكومة، وكل ذلك إكراما للتحالف مع اليماني.

● فرنسا ستزود الأردن بمعدات عسكرية جديدة، يجري التفاوض حولها الآن. المعروف أن فرنسا اصبحت مصدراً رئيسياً للسلاح لكل من العراق والسعودية.

● الحكومة البحرينية قدمت ٢٠ الف دولار للتلفزيون الأميريكي دعماً للبرامج العربية.

● القذافي بدأ خطوات جديدة في ثورته ونظريته ستؤدي الى تحطيم الجيش الليبي وانهائه تماماً، ذلك أن نظريته لايوافقها وجود الجيش والبديل سيكون تسليح الشعب!

الرسالة الاولى

حضرات الأخوة: أسرة تحرير مجلة الطليعة الاسلامية المحترمين.

لقد سررنا أشد السرور بإطلاعنا على مجلتكم الموقرة لما فيها من تنوع في الموضوعات ولما في خطها من الاصالة الاسلامية التي إفتقدناها في عصر عاد فيه الاسلام غريباً كما بدأ. ولما فيها من طرح إسلامي توحيدي شمولي يرى الوحدة الاسلامية ويعيشها في داخله كما يتحسس المشاكل التي يعانيها المسلمون في كل مكان من هذا العالم.

وكم نحن بحاجة للوحدة بين المسلمين. في زمن التشتت والتمزق والانقسامات حتى ذهب البعض في تماديه ليرى الخطر الرئيسي على الاسلام هو من مذهب ما أو من جماعة ما تعمل في الساحة الاسلامية، فمعظم النظم العربية لا ترى خطراً في الصهيونية وإسرائيل والصليبية والغرب وأميركا لترى الخطر المحدق هو في الثورة الاسلامية المباركة في إيران. وفي مصر مثلاً لا يرى «مبارك» الخطر الاسرائيلي بقدر ما يرى المجموعات الاسلامية فيسعى لضربها. وما أروع ما شاهدناه في هذه المحاكمات من صلابة الايمان والاسلام والحق عند هؤلاء الشباب. وما أروع هتافاتهم «خيبر خيبر يايهود.. جيش محمد سوف يعود»، وهكذا يتعرض الاسلاميون للطعن والتآمر في كل حدب وصوب. إنهم يريدون إطفاء هذه الأنوار التي بدأت تسطع في عالمنا المظلم. وما أصدق هذه الآية الكريمة فيما نحن فيه: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» صدق الله العظيم.

ونعيش اليوم في لبنان ظروفا معقدة في بلد يعمل الغرب وعملائه في المنطقة من الصليبيين والكتائب وغيرهم على سلخ هذا البلد عن محيطه وأصالته الاسلامية. يريدون تحويله الى حربة في صدر المسلمين «اسرائيل ثانية». وما إن أحس الصليبيون الجدد عملاء الغرب بأن المسلمين في لبنان بدأو يفكرون في مستقبلهم وعزهم، يتذكرون أصالتهم، أحسوا أن هناك تياراً إسلامياً مجاهداً بدأ يشق طريقه، بدأ الحاقدون المجرمون بمعاونة اليهود بالتآمر وراحوا يضربون ويقتلون المسلمين ويذبحونهم على الهوية وكانت الحرب الأهلية وتآمر قادة وحكام العرب علينا قبل الغرب، فتم ما حصل في تل الزعتر... وغيره... ومن ثم كانت حلقات أخرى من التآمر وكان الاجتياح الاسرائيلي الغاصب الأخير وفي ظل التآمر الدولي، وتم ضرب الثورة الفلسطينية تحت ستار لعبة إستعمارية خسيسة لعبت فيها على التفرقة بين لبناني وفلسطيني وسوري وعربي وعجمي وغير ذلك. فصبوا حممهم «الحضارية» على المسلمين من أهل هذا البلد وكانت مجازر صبرا وشاتيلا وبيروت المسلمة عامة.

وكان القهر ومايزال عبر إسرائيل والحداد في الجنوب وعبر الكتائب جيشهم في بيروت.

وبالرغم من كيد الأعداء وصعوبة المرحلة . نرى العمل الاسلامي يتقدم في كافة أنحاء العالم فالصحوة الاسلامية تشق طريقها في مصر . في ايران . في سوريا وفي لبنان وفي كل بلاد العرب والعجم في الشرق والغرب .

في لبنان مثلاً . لا يمر يوم الا ويقوم المجاهدون المسلمون بعملية جريئة ضد قوات الغزو الصهيوني وفي بيروت والجنوب ترى علماء الدين يتقدمون المسلمين في اللقاءات والاعتصامات في المساجد والحسينيات معاً ، وفي البقاع يشتد عضد العمل الاسلامي وكذلك في الشمال تتجدد الدعوة وخاصة في طرابلس . وهكذا في كل العالم الاسلامي مما يسمح لنا بالقول أن الأرض بدأت تميد تحت أرجل الحكام الطواغيت في كل مكان حتى يعود الحق لأهله وليعود الاسلام بقيادته الرشيدة ليقود الانسانية الى طريق الحق والعدل الذي إرتضاها لها خالقها عز وجل .

فالله غالب على أمره ولو كره المشركون . «ويكيدون كيداً واكيد كيدا فمهل الكافرون أمهلهم رويدا» صدق الله العظيم .

وطالما نحن في خدمة الاسلام وفي خط الجهاد في سبيل الله . فنحن في رعاية الله .

«إن الله يدافع عن الذين آمنوا» ويقول تعالى أيضاً : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا» فعندما نسير في هذا الدرب لن يدعنا الله بل سيحمينا من التيه والضلال . «واتقوا الله يعلمكم الله» وفي آية أخرى : «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» صدق الله العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إخوانكم في : حركة التوحيد الاسلامي/طرابلس لبنان

الرسالة الثانية

الاخوة الكرام في مجلة الطليعة الاسلامية حفظهم الله

سلام من الله عليكم ورحمة منه وبركات

في زمن المشنقة والكبت والحرمان ، والأجهزة الاعلامية السائرة في طريق تكبيل الشعوب ونشر دعايات الطغاة والملحدين ، تنبثق بعض الكواكب اللامعة لكي تبدد الليل الطويل وترفع الظلمة الرهيبة وترد صوت الشعوب المظلومة والمستضعفة ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان مجلتكم الكريمة تمثل واحداً من هذه الكواكب اللامعة وقد قررنا أن نرسل اليكم هذه الرسالة للتعبير عن مشاعر ابناء شعبنا المسلم في العراق تجاه هذه الجهود المخلصة التي تبذلونها لفضح دسائس اعداء الاسلام وجلادي الشعوب ، ورغبة منا في المساهمة في البحث الموضوعي عن وسائل انهاض الامة وبناء وحدة المسلمين . وقد حاولنا ان نحدد عدة اقتراحات يمكن ان تكون اساساً جيداً في تصورنا لتوحيد امتنا خاصة في هذه المرحلة الحساسة حيث بلغت الثورة الاسلامية اوجها كما بلغت دسائس الاعداء ومؤامراتهم اخس درجات الغدر والانحطاط والخبث .

وهذه المقترحات يمكن أن نوردها فيما يلي :

أولاً : استقاء الاخبار عن الدولة الاسلامية والحركات المجاهدة والشخصيات الدينية من القنوات الخبرية لهذه الجهات وعدم قبول أي قول أو رأي أو خبر يأتي من جهات مشبوهة عملاً بقوله تعالى (ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة...)

ثانياً : الاتصال المستمر بين الجهات الاسلامية

والشخصيات والحركات ومدارسة الاوضاع فيما بينهم لكي يزول الكثير من الاوهام والشبهات المطروحة بين المسلمين وتفهم القضايا على حقيقتها بلا تهويل او زيادة ولا يتم هذا الا من خلال الاطلاع على مجريات الاحداث في مواقعها .

ثالثاً : الوعي السياسي عند الاسلاميين شخصيات وحركات والتيقن من وجود مؤامرات ودسائس استعمارية غايتها اثارة القلاقل بين المسلمين وتأزيم العلاقات فيما بينهم وتقوم هذه الدسائس ببث الاخبار الكاذبة والاشاعات الرخيصة حسب الجو والحاجة ويكفي ان الثورة الاسلامية تتهم بالتشيع في العالم السني بينما تتهم بالتسنن في العالم الشيعي وداخل ايران بالذات وذلك من قبل القوى المعادية في الحالتين

رابعاً : انصاف العاملين والمجاهدين في سبيل الله والسعي لتفسير تحركاتهم تفسيراً حسناً ما امكن ورد التفسيرات الخاطئة التي تروجها جهات واجهزة لها مقاصد معروفة خلف تلك التفسيرات .

خامساً : المجيء الى ايران الاسلام والعمل لتوثيق العلاقات مع هذه الدول المجاهدة (لمن أيقن حقيقة الوجود الاسلامي في هذه الدولة) ، والمجيء الى ايران الاسلام من اجل فهم الحقيقة لمن لم يستطع لحد هذه الساعة ان يتيقن من هذه القضية وعدم الحكم على اي قضية تجرى في الدولة الاسلامية الا من خلال الفهم الحقيقي لها .

سادساً : الانتباه الى المشاكل الكبيرة التي واجهتها وتواجهها الثورة اليوم وعلى حد القول المنقول عن الاستاذ محمد قطب (ان الاخوة في ايران يعيدون الاسلام الى الحياة فلابد ان نعذرهم في كل القضايا التي تجري نتيجة المشاكل الكبيرة المحيطة بهم) فلا يصح أن نطالب الثورة باشياء ليست في استطاعتها فان المحافظة على العمل القائم خير من التضحية به من اجل عمل في الخيال .

سابعاً : ملاحظة شرائط الامامة في كتب الفقه الاسلامي بشتى مذاهبه والنظر بصدق الى مقدار انطباق هذه الشرائط على الشخصيات الاسلامية الموجودة اليوم في العالم ، والتساؤل مع النفس عما اذا كان بامكان المسلم التباطؤ في الاستجابة لدعوة أي مسلم اذا قام بالامر ودعا الى اقامة دولة الاسلام .

ثامناً : عدم الدخول في المسائل التاريخية الحساسة او الخلافات المذهبية القاسية والاهتمام بالمسائل الجهادية والنظر الى الخطر المحيق بالامة ، ولا يمنع هذا من دراسة الفقه الاسلامي باجتهاداته بصدر رحب وثقة بالعلم والعقل ومنع الجاهلين من التدخل في هذه المسائل التي هي من اختصاصات العلماء والدارسين .

تاسعاً : الالتفات الواعي الى الكتب والنشرات التي تصدر هنا وهناك وتحمل اسم الاسلام وهي تحمل في صفحاتها كل دواعي التفرقة واثارة الخلافات والتيقن من ان الهدف وراء هذه الكتب هو طعن الامة الاسلامية في وحدتها وتلاحمها وقد قامت السلطة الثورية الاسلامية بمصادرة بعض الكتب من هذا القبيل التي طبعت في ايران بعد الثورة مستغلة الظروف الحرة التي اوجدتها الثورة .

عاشراً : الحكم القاطع على أي صوت او رأي يدعو الى تفرقة المسلمين واثارة الخلافات بينهم بانه صوت مشبوه ايا كان صاحبه ومهما كان مصدره وعدم التردد اتجاه هذه الاصوات المنكرة فما هي في الحقيقة الا صوت الشيطان يلقيه الى اوليائه .

الحركة الاسلامية في العراق

المكتب الطلابي

ونلتقي ...

أيها الخجل تزوج .. إقترب من ساعاتنا وانفجر .. فكل بنات المسلمين سبايا إلا هي وكل الرجال في الأصفاد أو الرقاد إلا هم ..

هكذا تمتم المسكين وهو يرمق الأفق البعيد .. في عينيه ما يشبه صورة الأقصى وعلى شفتيه تتجمع آهات الأرامل .. ويديه تلف إحداهما الأخرى .. لاشئ يحجب الآلام عنه وهو يتقدم .. يتقدم .. يوغل في الذكرى .. تحتد عيناه .. تنتصب قامته .. يقطب جبينه وفجأة يصرخ : هستيريا .. جنون .. قف .. قف ! ! .. ويهدأ كما الموت .. يفك ذراعيه يركز نظراته على شئ تحت قدميه .. ويستمر في النظر .. ويتحرك منثنياً للأمام بحركة سريعة مذهلة ليلتقط «حجراً من على الأرض ويجعله بين أصابع يده أمام عينيه .. وأصابته حالة شعرية يسميها (الفاتحون) أو (العائدون لأرض المعاد) : تخريب ويسميها سلاطين الهزيمة : هلوسة .. أيها الحجر من غيرك حراً من المسلمين في هذه الأيام ؟ .. ومن غير الاشبال الرجال الذين يقذفونك في وجه (الفاتحين المغول) .. من غيرهم حر في هذه الساعات ؟ . أما آن للخجل أو لشئ داكن نراه في الصدور أن يتزوج يقترب من ساعاتنا وينفجر ؟ ! !

تذكره الموت وجاءه في موعده .. قفز بالحجر عندما رأى أحد «الخواجات» يسير في دوريته بين أزقة «جنين» قذف الحجر في وجهه .. المحتل صوب لصدره فوراً رصاصة أشعلت كما تشعل دوماً عشق الفلسطيني .. وأكملت الدورية مسيرها ترش وجه الأرض برصاص (السلام) ! ! جاءت طفلة متتبعة شلال الدم لتصل الى صدره .. فتجد الجرح بقدر حجم الحجر فتسرع الى هناك تأتي به وتدمل بها جرحه وتحني شعرها بدمه .. وتزغرد .. فيتدفق الأشبال والصبايا والفقراء والطيبون والكل يهتف : يامحتل ارحل ارحل إن الله أكبر أكبر .. إيه .. ياشيئاً داكناً نراه في صدور المسلمين الطيبين دع طفلتك تزغرد .. واقترب إقترب من ساعتنا وانفجر إننا ننتظر إننا ننتظر.

صلاح الدين فتحي



الطليعة الإسلامية

* إسلامية شهرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات والنشر - لندن.

* ثمن العدد :

بريطانيا ١ جنية استرليني. أوروبا وأمريكا ١.٥٠ جنيه استرليني أو ما يعادلها. مصر ٥٠٠ مليماً. دولة الإمارات ١٠ درهم. البحرين ٥٠٠ فلساً. قطر ١٠ ريالات. الكويت ٥٠٠ فلساً. السعودية ١٠ ريالات. اليمن الشمالية ٥ ريالات. اليمن الجنوبية ١٠ شلن. الأردن ٣٠٠ فلساً. سوريا ٥ ل. س. لبنان ٥ ل.ل. العراق ٤٠٠ فلساً. ليبيا ٤٠٠ فلساً. تونس ٥٠٠ مليم. المغرب ٥ درهم. الجزائر ٥٠٠ سنتيم. السودان ٤٠٠ مليماً. عمان ٥٠٠ فلساً.

* الأشتراك السنوي : ١٥ جنيهاً استرلينياً أو ما يعادلها.
وترسل الأشتراكات الى :

London-Barclays Bank No 20-05-30 Account No 6132[illegible]

المراسلات والأشتراكات على العنوان التالي :

B M BOX 27
LONDON
WC 1N 3XX

